

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

مقدمة ابن خلدون

وهي الجزء الأول من كتابها العبري وديوان المبتدأ والمختار...

بتحقيق
المستشرق الفرنسي
أ. م. كاترمير

عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨

المجلد الأول

مكتبة لبنان

0149897



Bibliothèque Alexandrine

A New Collection of Dictionaries

Al-Khalil

*A Dictionary of Arabic Grammar
Terminology*

Dr. Georges M. Abdul Massih
and Hani G. Tabri

•

A Dictionary of Arabic Verb Conjugation

Ambassador Antoine El-Dahdah

•

A Contextual Arabic Dictionary (Arabic - Arabic)

Dr. M. E. Sieny and H.H. Yusuf

•

Al-Kamel Al-Rafed

(French - Arabic)

Dr. Youssef M. Reda

•

A Dictionary of Arabic Proverbs (Arabic - Arabic)

Dr. M. Sieny - N. Abdul Aziz -
M. Sulaiman

•

A Dictionary of Social Life Vocabulary In the works of the Mu'allafat Poets

Dr. Nada Ash-Shaye'

•

Al-Mustalah

*A Dictionary of Computer Science
(English - Arabic)*

Antoine Butros and Nicolas Sheih

•

A Dictionary of Proverbs (English - Arabic)

Dr. Taiseer Kilani and Naim Ashour

•

A Dictionary of Arabic Words in Maltese

(Arabic - Maltese)

Dr. Ahmad T. Sulaiman

مَقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونِ

مقدمة ابن خلدون

وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ...

تأليف
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

بتحقيق
المستشرق الفرنسي
أ. م. كاترمير

عن طبعة باريس سنة ١٨٥٨

المجلد الأول



مكتبة لبنان
ساعة رياضات الصلح
بيروت
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliothèque Alexandrine

مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ
سَاحَةُ رِيَّاضِ الصُّلَحِ
بَیروت

١٩٩٢

طَبَعَ فِي لِبْنَانِ

رقم الكتاب 01 R 160110

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

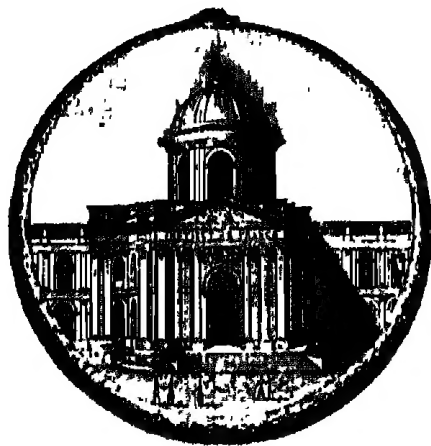
D'EBN-KHALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE,

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER. — PREMIÈRE PARTIE.



PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
RUE DU CLÔTRE SAINT-HENRI, 7.

M DCCC LVIII.

Tirage à part des *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque impériale*, publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.

PARIS. — TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES FILS ET C^{ie},
IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
rue Jacob, 36.

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى الحمد لله الذي له العزة
والجبروت وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى والنعوت
العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم او يخفيه السكوت القادر فلا
يعجزه شئ في السموات والارض ولا يفوت انشاءنا من الارض نسها
واستعمرنا فيها اجيالا وامما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا
الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

TOME I.

وَتَعْنُوْرُنَا الْآجَالُ الَّتِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْتُ وَلَهُ الْبَقَا وَالشُّبُوتُ
 وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ
 الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْهِنَعُوتِ الَّذِي تَمَخَّضَ
 لِفَصَالِهِ الْكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْآحَادُ وَالسُّبُوتُ وَيَتَبَايِنَ زَحَلُ
 وَالْبَهْمُوتُ وَشَهِدَ بِصَدَقَةِ الْحَمَامِ وَالْعَنْكَبُوتِ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ
 الَّذِينَ لَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ الْآثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّيتُ وَالشَّمْلُ
 الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلَعْدُوهُمْ الشَّمْلُ الشَّتِيتُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
 مَا اتَّصَلَ لِلْإِسْلَامِ جَدَّةُ الْمُبْخَوْتِ وَانْقَطَعَ بِالْكَفْرِ حَبْلُهُ الْمُبْتَوْتِ
 وَسَلِّمَ كَثِيرًا (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُ
 الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ وَتَشُدُّ إِلَيْهِ الرِّكَايِبُ وَالرَّحَالُ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ
 السُّوقَةُ وَالْأَغْفَالُ وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ وَتَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ
 الْعُلَمَاءُ وَالْجَهَّالُ أَذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ عَنِ الْأَيَّامِ
 وَالْدُّوَلِ وَالسُّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى تَنْهَقُ لَهَا الْأَقْوَالُ وَتَصْرَفُ فِيهَا
 الْأَمْثَالُ وَتَطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَّةُ إِذَا غَضَّهَا الْأَحْتِفَالُ وَتُودَى لَنَا شَأْنُ
 الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَغْلَبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ النُّطَاقُ فِيهَا
 وَالْمَجَالُ وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الْارْتِحَالُ وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ
 وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمُبَادِيهَا دَقِيقٌ وَعِلْمٌ
 بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ فَهُوَ لِذَلِكَ أَصْلُ فِي الْحِكْمَةِ عَرِيقٌ
 وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعُدَّ فِي عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ وَأَنْ فَحُولُ الْهَوَاحِشِ فِي الْإِسْلَامِ
 قَدْ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَعَوْهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفْحَاتِ الدِّفَاتِرِ

واودعوها وخالطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهو فيها
وابتدعوها وزخرف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى
تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وادوها اليها كما سمعوها
ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات
الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب
كليل والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل والتقليد عريق في
الادميين وسليل والتطفيل على الفنون عريض طويل ومرعى
الجهل بين الانام وسيل والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف
بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو يملى وينقل والبصيرة تنقد
الصحيح اذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل هذا
وقد دون الناس في الاخبار واكثرها وجمعوا توارينخ الامم والدول في
العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة واستفرغوا
دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة فهم قليلون لا يكادون
يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق
والطبرى والكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي
والمسعودي وغيرهم من المشاهير والتميزين عن الجماهير وان
كان في كتب المسعودي والواقدي من المطبعين والمغزما هو
معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة والثقاة الا ان الكافة
اختصوهم بقبول اخبارهم واقتفا سننهم في التصنيف واتباع آثارهم
والناقد البصير قسطاس نفسه في تزيفهم فيما ينقلون او اعتبارهم

فللعمران طبائع في احواله يرجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار ثم ان اكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في الآخذ والها ترك ومن هؤلاء من اوعب ما قبل الهلة من الدول والامم والامر العم كالمسعودي ومن نحا منحاه وجاء بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعيد فقيّد شوارد عصره واستوعب اخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن ابوحيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افريقية والدولة التي كانت بالقيروان لم يات من بعد هؤلاء الا مقلد وبليد الطبع والعقل او متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثال ويذهل عما حالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الاول صورا قد تجردت عن موادها وصفاحا انتصيت من اغهادها ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها انها هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكرون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها اتباعا لمن عني من المتقدمين بشانها ويغفلون امر الاجيال الناشئة في ديوانها بها اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم (1) عن

(1) Manusc. B. تفتهم; manusc. C. صحفهم.

بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدائيتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادئ الاحوال ومراتبها مفتشا عن اسباب تراجعها او تعاقبها باحثا عن المقتنع فى تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله فى مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيقي فى ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا بالفوائد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوايد ولما طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة من سِنَّة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وانا المفلس احسن السوم فانشأت فى التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا وبنيتها على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب فى هذه الاعصار وملؤا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال والقصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان الذان عرف بالمغرب ما واهما وطال فيه على الاحقاب

مثواها حتى لا يكاد يتصوّر عنه (1) متواها (2) ولا يعرف اهله من
اجيال الادميين سواها فهذبت مباحثه تهذيبا وقربته لافهام
العلماء والخاصه تقريبا وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غريبا
واخترعته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا
وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع
الانسانى من الاعراض الذاتية ما يمتعك بعلم الكواين واسبابها
ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من
التقليد يدك وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال
وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب (المقدمة) فى فصل علم
التاريخ وتحقيق مذاهبه والالاع بمغالط الهورخين (الكتاب الاول)
فى العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك
والسلطان والكسب والمعاش والصنایع والعلوم وما لذلك من
العلل والاسباب (الكتاب الثانى) فى اخبار العرب واجيالهم واولهم
منذ مبداء الخليفة الى هذا العهد وفيه الالهام ببعض من عاصرهم
من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى
اسرايل والقبط ويونان والترك والروم (الكتاب الثالث) فى اخبار
البربر ومواليهم من زناتة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار
المغرب خاصة من الملك والدول ثم لما كانت الرحلة الى

(1) Man. A. من.

(2) Man. C. منشواها.

المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الغرض (1) والسنة في مطافه ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافتت ما نقصني من أخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيها ملكوه من الاقطار واتبعت بها ما كتبه في تلك الاسطر وأدرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتاخير مقتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب (2) اخبار الخليقة استيعابا وذل من الحكم النافرة صعبا واعطى لحوادث الدول عللا واسبابا واصبح للحكمة صوانا وللتاريخ جرابا ولها كان مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والوبر والالمام بهن عاصرهم من الدول الكبر وافصح بالذكرى والعبر في مبادئ الاحوال وما بعدها من الخبر (3) سميته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم اترك شيئا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف والحوال (4) في القرون الخالية والهلل وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال منقلبة مشاعة وبدو وحضر

(1) Man. B. الغرض.

(3) Mau. A. الخبر.

(2) Man. B. استوعبت.

(4) Man. B. الخول. G. الجول.

وواقع ومنتظر ألا واستوعبت جهله وأوضحت براهينه وعلله فجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة وأنا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضى فى مثل هذا القضا راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء فى النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا فالهضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبى ونعم الوكيل

(المقدمة) فى فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالاع بها يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة شريف العائدة (1) اذ هو يقفنا على احوال الهاضين من الامم فى اخلاقهم والانبياء فى سيرهم والهلوك فى دولهم وسياستهم حى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن الهزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتد (2) فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغايب منها

(1) Man. C. الغاية.

(2) Man. B. اعتبر. C. اعتد.

بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وايمّة النقل المغالط في حكايات الوقايح لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بدّ من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودى وكثير من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل وان موسى عليه السلام احصاهم في البتية بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون وبذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما ليشل هذا العدد من الجيوش فلكل مملكة من الممالك حصّة من الحماية تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفيين وشى من جوانبه لا تشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالهاضى

أشبه بالآتى من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامه بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملّتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقيين وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا فى اتباعهم اكثر من مايتى الف وعن عايشة والزهرى ان جموع رستم التى زحف بها لسعد بالقادسية انها كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لانتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية والقبيل القايمين بها فى قلتها وكثرتها حسبما يتبين فى فصل الممالك من الكتاب (١) والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن قاهت بفتح الهاء او كسرهما بن لاوى بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو

(١) Le man, C. ajoute الاول.

اسرائيل الله هكذا نسبه في التورية والمدة بينهما على ما نقله
 اليسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين
 اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بهصر الى ان خرجوا
 مع موسى عليه السلام الى النيه مائتين وعشرين سنة يتداولهم
 ملوك القبط من الفراعنة وبعد ان يتشعب النسل في اربعة
 اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش
 انما كان في زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فبعيد ايضا اذ
 ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر اباؤه فانه سليمان بن
 داود بن ايشاي بن عويد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوعز بن
 سلوم بن نجشون بن عميناذاب ويقال حميناذب بن رام بن
 حضرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بيرس بن يهوذا بن
 يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا
 العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون واما ان
 يتجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في
 الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا
 والذي ثبت في الاسرايليات ان جنود سليمان كانت اثنى عشر
 الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على
 ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
 العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام كان عنفوان دولتهم
 واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في

الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا
 في الاخبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا في احصاء
 اموال الجبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضايع الاغنياء
 الموسرين توغّلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساءوا
 الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن عساكرهم
 واستتبعت احوال اهل الشروة في بضايعهم وفوايدهم واستجلبت
 عوايد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك
 الا لولوع النفس بالغرابة وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن
 الهعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطا ولا عمدا
 ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث
 وتفتيش فيرسل عنائه ويسيم في مراتع الكذب لسانه وبشترى
 لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك بها صفقة خاسرة
 وقد يقال ان العوايد انها تمنع من نمو الذرية الى مثل (1) هذا العدد
 في غير بنى اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان
 فيما اوحى الى آبايهم من الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات
 الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم حتى يكثر نجوم السماء وحصى
 الارض وانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة خارقة للعادة
 في حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد
 بالطعن على خبر ذلك وانه انها ورد في التوراة واليهود قد

(1) Man. A. نسل.

بدلوها على ما هو معروف فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهرة لان العادة مانعة من اعتماد اهل الاديان ذلك فى صحفهم الالهية كما ذكره البخارى فى صحيحه فيكون هذا النمو الكثير فى بنى اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك فى غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الزحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليه حاجة واختصاص كل مملكة بعددها من الحامية صحيح وبنو اسرائيل لم يكونوا اولا حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النمو ليستولوا على ارض كنعان التى وعدهم الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادى الى الحق (ومن الاخبار الواهية للورّخين) ما ينقلونه كافة فى اخبار التابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب الى الترك وبلاد التبت من بلاد المشرق وان افريقس (١) بن قيس بن صيفى من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افريقية واثنى فى البربر وانه الذى سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من يومئذ وانه لما انصرف عن المغرب جهر هناك قبائل من حمير فاقاموا بها فاختلطوا باهلها ومنهم منهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني

١. Man. A. امرنفس. Man. B. امرنفس.

والمسعودى وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وباباه نسابه (1) البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا لادعار من ملوكهم بعد افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوّخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية انه ملك الموصل واذربيجان ولقى الترك فهزمهم واثنى فيهم ثم غزاهم وثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزا ثلاثة من بنيه الى بلاد فارس والى بلاد الصغد من اعم الترك وراء النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثانى الذى غزا الى الصغد قد سبقه اليها فاثخنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنايم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فحاصرها ودوّخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصاص الهوضوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من

(1) نسبة. A. Man. (1)

الشرق وبحر السويس الهابط منه ايضا الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصوّر الجغرافيا فلا يجد السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامى قدر مرحلتين فيها دونها ويبعد ان يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير ان تصير من اعماله هذا ممّتنع في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالقة وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التبابعة حاربوا احدا من هؤلاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى انتساف الزروع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمترون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يبرّوا في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودّخروها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تهت بهؤلاء الامم ولا تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالهسالة فذلك ايضا ابعد واشدّ امتناعا فدلّ على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادى الرمل الذى يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكه ومن نفص طرقه من الركاب والغزى في كل

عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة مما تتوقّر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسلك السوبس إلا أن الشقة هنا أبعد وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود أرض العراق وبلاد العرب ما بين البحرين والحيرة المتاخمة بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذى الأذعار منهم وكيقائوس من ملوك الكيينية وبين تبع الأصغر أبو كرب ويستاسب منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيينية والساسانية من بعدهم فمجازاة التبابعة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت ممتنع عادة من أجل الأهم المعترضة دونهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مرّ فالأخبار بذلك وأهية مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهى لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق أن تبعا الآخر سار إلى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصحّ غزوهم إليها بوجه بما تقرّر فلا تثقن بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الأخبار وأعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادى إلى الصواب (فصل) وأبعد من ذلك وأعرق منه فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة الفجر عند قوله تعالى ألم تركيف فعل

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ربك بعاد ارم ذات العباد يجعلون لفظة ارم اسما لمدينة وصفت بأنها ذات العباد اى الاساطين وينقلون انه كان لعاد ابن عوض بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن ميثم مثلها فبنى مدينة فى صحارى عدن فى ثلثماية سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا ذكر ذلك الطبرى والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معوية فاحضره وقص عليه فبعث الى كعب الاحبار وساله عن ذلك فقال هى ارم ذات العباد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وفى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله هذا ذلك الرجل انتهى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والركاب والادلاء تنفض طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر

ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست
فيما درس من الآثار لكان اشبه الآ ان ظاهر كلامهم انها موجودة
وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي
الهديان ببعضهم الى انها غايبة عن الحسّ وإنما يعثر عليها اهل
الرياضة والسحرة مزاعم كلها شبيهة بالخرافات والذي حمل
الفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظ ذات
العماد من انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين يتعيّن ان
يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة
من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه
بالاقاصيص الموضوعة واقرب لتفسير (١) سيفوية المنقولة في عداد
المضحكات والآ فالعماد هي عماد الخيام وان اريد بها الاساطين
فلا بدع بوصفهم باتهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر
من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما
في قراءة بن الزبير فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول
قريش كنانة والياس مضر وربيعه نزار من غير ضرورة الى هذا
المحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه امثال هذه الحكايات الواهية
التي تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (ومن الحكايات
المدخولة للمورخين) ما ينقلونه كافة عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة
من قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة وانه

(١) Man. A. لتفسير.

لكلفه بكانهما من معاقرة اياها الخمر اذن لها فى عقد النكاح
دون الخلوة حرصا على اجتماعهما فى مجلسه وان العباسية
تحملت عليه فى التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى
واقعها فى حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشيد فاستغضب
وهيأت ذلك من منصب العباسية فى دينها وابوتها وجلالها
وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال
هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده العباسية بنت محمد
المهدى بن عبد الله ابى جعفر المنصور بن محمد السجاد بن
على ابى الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم
النبي صلى الله عليه وسلم بنت خليفة اخت خليفة محفوفة
بالحك العزيز والخلافة النبوية وصحة الرسول وعمومته وامامة
الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من ساير جهاتها قريبة عهد
ببداوة العربية وسداجة الدين البعيدة من عوايد الترف ومرائع
الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين
توجد الطهارة والزكاة اذا فقد من بيتها وكيف تلحم نسبها
بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربى بهولى من موالى
العجم تملك جدّة من الفرس مولاة (1) جدّها من عمومة
الرسول واشراف قريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه وضبع
ابيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل الشريف وكيف يسوغ

(1) Man. C. تولاهما.

من الرشيد ان يصهر الى موالى العجم على بعد همته وعظم آبايه
ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة
ملك من اعظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى
من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكره ولج (1) فى
تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة
ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية حتى
كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره
وشركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى امور ملكه
فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها
بالروساء من ولدهم وصنایعهم واحتازوها عمن سواهم من وزارة
وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين
صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة
بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لكان ابيهم يحيى من
كفالة هارون ولى عهد وخليفة حتى شت فى حجرة ودرج
من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابني فتوجه الايثار
من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم
وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت
عليهم الآمال وتخطت اليهم من اقصى الشخوم هدايا الملوك

(1) Man. A. لجا.

وتحرف الامراء وتسربت الى خزائهم في سبيل التزلف
والاستهالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء
القراة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا (1) من بيوتات الاشراف
المعدم وفكّوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا
لعفائهم الجوايز والصلوات واستولوا على القرى والضياع من
الصواحي والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا البطانة
واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه
المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب
السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة (2) اخوال جعفر من اعظم
الساعين عليهم لم تعطفهم لها وقر في نفوسهم من الحسد
عواطف الرحم ولا وزعتهم اوامر القراة وقارن تلك عند
مخدومهم نواشي (3) الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن
الحقود (4) التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار
على شانهم الى كبار المخالفة كقصّتهم في يحيى بن عبد
الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي
محمّد المهدى الملقّب بالنفس الزكية الخارج على الهنصور
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد
الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل الف الف درهم على

(1) Man. B. كيسوا.

(3) Man. A. مواشي.

(2) Man. B. قحطينة.

(4) Man. A. الحقود.

ما ذكره الطبرى ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره
والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله
والاستبداد بحل عقاله حرصا لدماء اهل البيت بزعمه ودالة
على السلطان فى حكمه وساله الرشيد عنه لما وشى به
عليه ففطن وقال اطلقت فابدى له وجه الاستحسان واسرها فى
نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل
عرشهم واكفيت عليهم سماوهم وخسفت الارض بهم وبارهم
وذهبت سلفا ومثلا للآخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم
واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر ممدد
الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد الله فى مفاوضة الرشيد عم
جدة داود بن على فى شأن نكبتهم وما ذكره فى باب
الشعراء من كتاب العقد فى محاوراة الاصمعي للرشيد والفضل
بن يحيى فى سرهم تتفهم انه اتما قتلهم الغيرة والنفاسة
فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
اعدائهم (١) من البطانة فيها دسوة للمغيبيين من الشعراء احتيالا
على اسماعه للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله

ليت هند انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدا انها العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بعثوا بامثال

(١) Man. A. et B. اعدادهم.

هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا (1) لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بها يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاورته للفضل بن عياض وابن السماك والعمرى ومكاتبته سفيان وبكاية من مواعظهم ودعايه بهكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح باول (2) وقتها حكى الطبرى وغيره انه كان يصلى كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكة سهره حين تعرض له بهتل ذلك في الصلاة لها سمعه يقرأ وما لى لا اعبد الذى فطرني قال والله لا ادري لم فما تمالك (3) الرشيد ان ضحك ثم التفت مغضبا وقال يا بن ابي مريم في الصلاة ايضا ايتاك القرآن والدين ولك ما شئت بعدها وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب (4) عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه ابي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاما وقد كان

(1) Man. B. حاشى لله. G. حاش.

(3) Man. A. تهلكت.

(2) Cod. B. لاول.

(4) Man. A. بقرب.

أبو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لهالك حين أشار عليه بتأليف الوطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق على وجه الأرض اعلم مني ومنك وأنتى قد شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطيئه للناس توطية فقال مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه الهدى أبو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطيين فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف الهدى من ذلك وقال يا امير المؤمنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا من عطاءى فقال لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمح بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته وما رى عليه من امثال هذه السير فى اهل بيته والتخلق (1) بها ان يعاقر فى الخمر او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية فى اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم (2) وكان شربها مذمة عند الكبير منهم والرشيد وآبأوه كانوا على ثبج مسن اجتناب المذمومات فى دينهم وديناهم والتخلق بالمحاسن واوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبرى

(1) Man. A. التخلق.

(2) Man. A. شجرتهم.

والمسعودى فى قصّة جبرئيل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك فى مايدته فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعدّ ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والبوارد والحلوى وصبّ على الثانية ماءً مثلجاً وعلى الثالثة خمرًا صرفاً وقال فى الاول والثانى هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام بختيشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضر للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدوا وتغيّرت رايحتهم فكانت له فى ذلك معذرة وتبيّن من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابنى نواس لها بلغة من انهماكه فى الهعارة (١) حتى تاب واقلع وانها كان الرشيد يشرب نبيذ النهر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من الغنّب فلا سبيل الى اتهامه بها ولا تقليد الانحبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرماً من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اوليك القوم كلهم بمنجاة

(١) Cod. A. المسافرة.

من خنث السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر
متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين
التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى
الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبرى
والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بنى
امية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من
الفضة فى المناطق والسيوف والجمع والسروج وان اول خليفة
احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن
الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا فى ملابسهم فما
ظنك فى مشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت
طبيعة الدولة فى اولها من البداوة والغصاة كما نشرح فى
مسائل الكتاب الاول ان شاء الله تعالى (ويناسب هذا) او
قريبا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون
وصاحبه وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه
فدفن فى الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدى وامير الناس كلهم قد جارفى حكمه من كان يستغنى
انى غفلت من الساقى فصيرنى كما ترائى سليب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد وشرابهم
انما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من
شانهم وصحابته للمامون انما كانت خلة فى الدين ولقد ثبت

انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المامون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام يتجسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذى في كتابه الجامع ذكر الحافظ المزنى ان البخارى روى عنه في غير الجامع فالتدح فيه قدح في جميعهم (1) وكذلك ينبره المجان بالميل الى الغلمان بهتانا على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسدا في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها (2) عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا واثنى عليه وقيل لاسمعيل مما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان نزول عدالة مثله لتكذيب باغ وحاسد وقال يحيى بن اكثم ابرأ الى الله من ان يكون فيه شئ مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت اقو على سرايرة فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بما رمى به وذكره ابن حيان في

(1) Man. A. جميعه.

(2) Man. B. نبذه. A. يثنى.

الثقات وقال لا تشتغل (1) بما يحكى عنه لان اكثرها لا تصح عنه (ومن امثال) هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه عثر في بعض الليالى في تطوافه (2) بسكك بغداد بزنبيل مدلى (3) من بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقتعده وتناول المعلق فاهتزت وذهب به صعدا الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنصيد ابنته (4) وجمال روايه ما يستوقف الطرف ويملك النفس (5) وان امراة برزت من خلل الستور في ذلك المجلس رابعة الجمال فتانة المحاسن فحيتته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه الى الاصهار الى ابياها واين هذا كله من حال المامون المعروفة في دينه وعلمه واقتفايه سنن الخلفاء الراشدين من ابائهم واخذة بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله في صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المشتهرين (6) في التطواف بالليل وطروق

(1) Man. A. et B. يشتغل

(4) Man. C. انيته.

(2) Man. A. تطوفه.

(5) Man. A. النفوس.

(3) Man. A. يدل.

(6) Man. C. المشتهرين. Je lis.

مقدمة
الكتاب

المنازل وغشيان السر سبيل عشاق الاعراب واين ذلك
من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار
ابيه من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي
كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث
بها الاتهامك في اللذات المحرمة وهتك قناع المروءة
وتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم
كثيرا ما يامهجون باشباه هذه الاخبار وينقرون (١) عنها عند
تصحيحهم لاوراق الدواوين ولو ائتمروا بهم في غير هذا من
احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم المشهورة عنهم لكان
خييرا لهم لو كانوا يعلمون (ولقد) عدلت يوما بعض الامراء من
اولاد الملوك في كلفه بتعلم الغنا وولوعه بالاوثار وقلت له
ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى
الى ابراهيم ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس
المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا (٢) تأسيت
بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن
مناصبهم فصم عن عدلى واعرض (ومن الاخبار الواهية) ما
يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة
بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله
عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام بن جعفر

(١) Man. A et B. يقرنون.

(٢) Man. A. هل.

الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لقيت
 للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلّفا اليهم بالقدح فيمن
 ناصبهم وتفتّنا في الشمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه
 الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات
 وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب
 دعواهم والردّ عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبداء دولة
 الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من
 آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويبه على عبيد الله المهدي
 وابنه ابي القاسم خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محلّ
 الخلافة واجتازا بمصر واتهما خرجا من الاسكندرية في زى
 التجار ونا خبرهما الى عيسى النوشزى عامل مصر
 والاسكندرية فصرح (١) في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا
 خفى حالهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى
 فافلتوا الى المغرب وان اليعتضد اوغر الى الاغالبة امراء افريقية
 بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الآفاق عليها
 واذكاء العيون في طلبهما فغثر اليسع صاحب سجلماسة من
 آل مدرار على خفى مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة
 هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبة بالقيروان ثم كان بعد
 ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم

(١) Man. A. فخرج.

بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في الممالك شق الابلية وكادوا يلجئون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلف بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا كرتيا وما زال بنو العباس يخصصون بهكانهم ودولتهم وملوك بنى امية وآء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدى بالنسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذا كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوتهم وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فساعت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

فهيها تكن عند امره من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاة ومواطن الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الهلايكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على انم ما كانوا عليه من الصاغية اليهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل ابن جعفر الصادق وقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعيين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من عقبهم يزعمون استحقاقهم للخلافة

ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن (١) سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لها ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشتبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة الهرجوة ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك لها كانوا عليه من الاتحاد في الدين والتعق في الرافضة فليس ذلك بدافع (١) في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغنى عنهم من الله شيا في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغني عنك من الله شيا ومتى عرف امره قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاحتفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو سئل الايسام ما اسى ما درت واين مكانى ما عرفن مكانى

(١) Man. A. فمن.

(٢) Man. A. يدافع.

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جدّ عبيد الله المهدى بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفايه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي الفايل الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدورى والصيمرى وابن الاكفانى والابوردى وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامّة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ثنتين واربعماية في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه (1) والحق من رأيه وفي كتاب المعتضد في شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة

(1) Man. A. دعوة.

اصدق شاهد واوضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اقعد
بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم
يجلب اليه بضائع العلوم والصنایع وتلتبس فيه ضوال الحكم
وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل ولافن
والسفسفة وسلكت النهج الاثم ولم تجر عن قصد السبيل
نفق (1) في سوقها الابريز الخالص والسجين الصافي (2) وان
ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل
نفق البهرج والزاييف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه
وملتمسه (ومثل هذا) وابعده منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون
في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن على بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام
بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون تعريض الحسد (3)
بالتظن (4) في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد
مولا هم قبحهم الله وابعدهم ما اجهلهم اما (5) يعلمون ان ادريس
الاكبر كان اصهاره في البربر وانه مذ دخل المغرب الى
ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في

(1) Man. A. لفق.

(2) Man. B. et C. المصفى

(3) J'ai lu الحسد au lieu de الحد.

(4) Man. A. بالتظنين.

(5) Man. A. انما.

كل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأتى فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بمراى من جاراتهن ومسمع من حيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل بين المساكن (١) وقد كان راشد يتولى (٢) خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشهد من اوليايهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس الاصغر من بعد ابيه وآتوه طاعتهم عن رضى واصفاق وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا فى حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس اقتالهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر (٣) ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فنج اوغر الهادى الى الاغلبة ان يقعدوا له بالهرصاد (٤) ويذكروا (٥) عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم (٦) امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من

(١) Man. المساكن.

(٢) Man. A. يقول.

(٣) Je lis قر au lieu de.

(٤) Man. C. المرصد.

(٥) Man. B. يذكروا.

(٦) Man. B. فنها.

دسياسة التشيع للعلوية وادهانه في نجاة (1) ادريس الى المغرب
فقتله ودس الشماخ من موالى ابيه للتحيّل (2) على قتل
ادريس فظهر اللحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناول الشماخ في بعض
خلواته سماً استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس
احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم يتاد اليهم خبر الحمل المخلف
لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعة
بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن
منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية
المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيّل في اهلاكه بالسموم
فعند ذلك فزعوا الى اولياهم من الاغلبة بافريقية في سدّ
تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من
قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشجّ منهم يخاطبهم
بدلك المامون ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغلبة من برايرة
المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزبون على ملوكهم احوج
لها طرق الخلافة من انترآ الهاليك العجم على سدّتها

(1) Man. B. نجاة.

(2) Man. B. للتحيّل.

وامتنطاهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
فى رجالها وجبايتها واهل خطتها وسائر نقضها وابرامها كما
قال شاعر عصرهم

خليفة فى ققص بين وصيف وبعّا يقول ما قال له كما تقول الببغا

فخشى هؤلاء الامراء الاغالبه بوادى السعايات وتلقوا بالمعاذير
فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزة
حدود الشخوم من عمله وينفذون (1) سكتة فى تحفهم وهداياهم
ومرتفع جباياتهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته
وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه تهديدا بقلب الدعوة
ان الجيؤا اليه وطورا يطعنون فى نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعد
المسافة وافن عقول من خلف من صببة بنى العباس
ومالكهم العجم فى القبول من كل قايل والتسمع لكل ناعق
ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغالبه فقرعت هذه
الكلمة الشنعاء اسماع الغوغا وصر عليها بعض الطاعنين (2) اذنه
واعتدّها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم
الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض فيها بين المقطوع
روالمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان

(1) Man. C. ينقدون.

(2) Man. B. الطاغين et C. الطاغين

تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه
قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر
من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القران ومن اعتقد خلاف
هذا فقد باء بائه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا
الرد سدا لابواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته
اذناى (1) من قايله المعتقد عليهم به القادح في نسبهم
بقرينه (2) وينقله بزعمه عن بعض مؤرخى (3) المغرب ممن
انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا
فالمحل منزّه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث
يسحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم في الحياة الدنيا
وارجو ان يجادلوا عنى يوم القيامة (وليعلم) ان اكثر الطاعنين في
نسبهم انما هم الحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتهم الى
اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب دعوى
شرف عريض على الاعم والاجيال من اهل الآفاق فتعرض التهمة فيه
ولما كان نسب بنى ادريس هولاء بمواطنهم من فاس وسائر بلاد
المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح (4) مبلغا لا يكاد يلاحق
ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف
من الامة والجيل من السلف وبيت جدّهم ادريس مختطّ

(1) Man. A. اذنى.

(2) Man. B. بقرينة.

(3) Man. A. مؤرخ.

(4) Man. A. et B. الوضوح.

فاس وموتسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلتهم ودروبهم (1) وسيفه منتضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تالحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدّ احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتميين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون فى انسابهم ويون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفايل والقول المكذوب تعللا بالمساواة فى الظنة والمشابهة فى تطرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرآوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى ابن محمد بن يحيى المعدام ابن القاسم بن ادريس بن

(1) Man. B. دورهم.

ادريس وهم بقايا اهل البيت هنالك والساكنون ببيت
جدّهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله وهم بنو عمران بن محمد
ابن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن علي بن
محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الجوطى والنقيب لهذا
العهد منهم محمد بن علي (1) بن محمد بن عمران
(ويلاحظ) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناوله
ضعفة الراى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدي
صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه
من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل البغى قبله (2)
وتكذيبهم لجميع مدّعياته فى ذلك حتى فيما يزعم
الموحدون اتباعه انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء
على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسده على شأنه
فانهم لما (3) راوا من انفسهم مناهضته فى العلم والفتيا وفى
الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى مسوع القول
سوطوء العقب نفسوا ذلك عليه وعضوا (4) منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لهّدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدايه تجلّة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لها كانوا عليه من

(1) Man. A. محمد.

(2) Man. A. مله.

(3) Man. B. دلوا.

(4) Man. A. et B. غصوا. Jelis غصوا.

السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة (1) العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل فى بلده (2) وعلى قدره فى قومه واصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناسبة لهم تشييعا للمتونة وبغضا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله (3) غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاوهم فنادى فى قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز (4) انصارا وحامية وتساقطت فى ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الهوت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقرّبوا الى الله باتلاف مهجهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشّف والحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ عن الحظ والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى ربها تجنح اليه النفوس ويخادع عن تمّيه فليت شعري ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من

(1) Man. C. بحملة.

(3) Man. C. على.

(2) Man. B. فى كل بلدة.

(4) Man. A et B. اغز.

الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تمّ امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده وأما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعضده حجة لهم مع ان (1) ثبت انه ادّعاء وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبها ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس ساير المصامدة ودانوا (2) باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغه حتى تمّ امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدى يتوقف عليه ولا اتبعه الناس لنسبه (3) وانما كان اتباعهم له بعصبية الهرقية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها (4) وكان ذلك النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند (5) عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كأنه انسخ منه ولبس جلدة هولاء وظهر (6) فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبية اذ هو مجهول (7) عند اهل العصابة ومثل هذا وقع كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفة (8)

(1) Le M. A. omet أن Man. G. مع انه يثبت (5) Man. A. عنه.

(2) Man A. et B. ادانوا.

(6) Man. C. طرر.

(3) Man. G. بسببه.

(7) Man. B. مجهول.

(4) Man. A. منها.

(8) Man. B. عرمجة.

وجرير فى رياسة بجيلة (١) وكيف كان عرجة من الازد
ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر
رضى الله عنه كما هو مذكور تستفهم منه وجه الحق والله
الهادى الى الصواب (وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب
بالاظناب فى هذه الهغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفاظ فى مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت
بافكارهم ولقنها عنهم الكافة من صعفة النظر والغفلة عن
القياس ولقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية (٢)
واندرجت فى محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظره مرتبكا وعد من مناحى العامة فاذن يحتاج صاحب
هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الوجودات واختلاف
الامم والبقاء والاعصار فى السير والاخلاق والعوايد والنحل
والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاظر من ذلك
ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول
الدول والهلل ومبادئ ظهورها واسباب حدوثها ودواعى كونها
واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبرة
المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها جرى

(١) Man. A. بجيلة.

(٢) رواية. Man. A.

على مقتضاها كان صحيحا ولا زيفه واستغنى عنه وما استكبر
 القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبرى والبخارى
 وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامّة وقد ذهل (1)
 الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهولة واستخف
 العوام ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والخوض
 فيه والتطفل عليه فاختلط المرعى بالهمل واللباب بالقشعر
 والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط الخفى
 فى التاريخ) الذهول عن تبدل الاحوال فى الامم والاجيال
 بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى وشديد الخفاء اذ
 لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من
 اهل الخليفة وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم
 لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على
 الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
 الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
 والاقطار والازمنة والدول سنة الله التى قد خلت فى عبادة
 وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنسبط
 والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم فى
 دولهم وممالكهم وسياستهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
 وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمادهم للعالم

(1) Man. A. et B. دخل

تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب
والفرجة فتبدلت تلك (1) الاحوال وانقلبت بها العوايد الى
ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء
الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا
اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ
الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وایامهم وذهب
الاسلاف الذين شيّدوا عزهم (2) ومهدوا ملكهم وصار الامر
فى ايدى سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر
بالمغرب والافرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت
احوال وعوايد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشائع فى
تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه
كما يقال فى الامثال الحكيمية الناس على دين الملك واهل
الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان
ينزعوا الى عوايد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون
عوايد جيلهم مع ذلك فيقع فى عوايد الدولة بعض المخالفة
لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم
ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشئ
وكانت الاولى اشدّ مخالفة ثم لا يزال التدرج فى المخالفة
حتى ينتهى الى المباشرة بالجملة فما دامت الامم والاجيال

(1) Man. A. كل.
TOME I.

(2) Man. A. عزهم.

تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغلط عن قصده وتعوج به عن مراده (1) فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة مع ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما ينقله المؤرخون من احوال الحجاج وان اياه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنایع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية (2) والمعلم مستضعف مستكين منقطع الجذم (3) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنایع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها من الميكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبها من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنایع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالمة هم الذين يعلمون

(1) Mau. B. امر الله.

(2) Man. A. العصبية.

(3) Man. B. الخدم.

PROLÉGOMÈNES
d'Ébn-Khal'doun.

كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على
الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه قتلوا
واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون (1) على تعليم
ذلك وتفهيمه للامة لاتصددهم عنه لايمة الكبر ولا يزعمهم (2)
عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم
كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما
جاء به من شرايع الدين بعث فى ذلك من اصحابه
العشرة (3) فمن بعدهم فلما استقر الاسلام ووشجت عروق
الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت
بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
لتعدد الوقايع وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا
وصار العلم ملكة تحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنابع
والحرف كما ياتى ذكره فى فصل العلم والتعليم واشتغل
اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام
به من سواهم واصبح حرفة المعاش وشمخت (4) انوف
المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
بالستضعفين وصار منتحله محترقا عند اهل العصبية والملك

(1) Man. A. فبصرحون.

(3) Man. B. الغرلا.

(2) Man. A. et B. يزعمهم; man. C. يزعمهم. (4) Man. A. سمخة.

والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم
ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما
علمت (1) ولم يكن تعليقه للقران على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للمعاش وإنما كان على ما وصفناه من
الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ما يتوهمه المتصفحون
لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من
الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساوس
الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة
القضاة لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بآبى
ابى عامر حاجب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف بأشبيلية اذا سمعوا ان آباهم كانوا قضاة انهم مثل
القضاة لهذا العهد ولا ينتظنون لما وقع في رتبة القضا من
مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول
وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القايمين
بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة
القضا كما هي لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر
القديم لاهل العصبيات من قبيل الدولة ومواليها كما هي
الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في

(1) Le man. A. ajoute ما.

الصوائف وتقليدهم عظيم الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنا فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال الى غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ اعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئوا للمذلة (1) يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون بها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف منهم والصنایع متصدّين لذلك ساعين في نيّله فاما (2) من باشر احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقل ما يغلطون في ذلك او (3) يخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المورّخون عند ذكر الدول ونسق ملوكهم فيذكرون اسمه ونسبه وامه واباه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليدا لمورّخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمورّخون لذلك العهد كانوا يضعون (4) تواريخهم لاهل

(1) Man. B. للمزلة.

(3) Man. A. ام.

(2) Man. A. فيها.

(4) Man. B. يصنعون.

الدولة وابنائهم متشوفون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم
ليقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال
من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لآبناء صنائعهم
وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبة الدولة في عداد
الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله
واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف
الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول
بعضها من بعض في قوتها وغلبيتها ومن كان يناهضها من
الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف لهذا العهد في ذكر
الآبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب
من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقامانهم
انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين
الاقدمين والذهول عن تحرري الاغراض من التاريخ اللهم
الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على الملوك اخبارهم
كالهجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وكافور الاخشيدي وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير الالهاع
بايامهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك
(ولنذكر) هنا فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان
التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر
الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمورخ يتبنا

عليه أكثر مقاصده ويتبين به اخباره وقد كان الناس يفردونه (1) بالتأليف كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والآفاق لعهدده فى عصر الثلاثين والثلاثماية غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك فى المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهدده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو آخر الماية الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب التى نحن شاهدها وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهل على القديم بمن طراء فيه من لدن الماية الخامسة من اجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم انتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فى شئ (2) من البلدان لملكتهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه الماية الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيى الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلغ الغاية

(1) Man. A. يفردونه.

(2) Man. C. فيها بقى من.

من مداها فقلص من ظلالها وفل (١) من حدها واوهى (٢) من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن (٣) وكانى (٤) بالمشرق وقد نزل به ما قد نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانه وكانما نادى لسان الكون فى لعالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها (واذا) تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكاته خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوايد والنحل التى تبدلت لاهلها ويقفو مسلك السعودى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من ياتى من المورخين من بعده (وانا) ذاكر فى كتابى هذا ما امكننى منه فى هذا القطر المغربى اما صريحا او مندرجا فى اخباره وتلويحا لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعى على احوال المشرق واممه لان الاخبار المتناقلة لا توفى كنه

(١) Man. A. et B. قل.

(٢) Man. C. اوهن.

(٣) Man. B. الساكن.

(٤) Man. A. كان.

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khalidoun.

ما اريده منه والمسعودى انما استوفى ذلك لبعده رحلته
وتقلبه فى البلاد كما ذكره فى كتابه مع انه لما ذكر
المغرب قصر فى استيفاء احواله وفوق كل ذى علم عليم
ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين
واجب ومن كان الله فى عونه تيسرت عليه المذاهب
وانجحت له المساعى والمطالب ونحن آخذون بعون الله
فيما (1) رمناه من اغراض التأليف والله المستد والمعين وعليه
التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة فى كيفية وضع
الحروف التى ليست من لغة العرب اذا عرضت فى كتابنا
هذا (واعلم) ان الحروف فى النطق كما ياتى شرحه بعد
هى كفيات للاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من
تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
والحنك والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغير كفيات
الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متميزة فى
السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضماير
وليست لامم كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف (2)
فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى
والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا
كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست فى لغتنا وفى

(1) Man. A. فيها.

(2) Man. A. الحرف.

لغتنا ايضا حروفا ليست فى لغتهم وكذلك الافرنج
والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب
من العرب اصطاحوا فى الدلالة على حروفهم الهمسوعة
باوضاع حروف (1) مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف
وباء وجيم وراء وطا الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم
الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهلا عن
الدلالة الكتابية (2) مغفلا عن البيان وربما يرسه بعض
الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه (3) من لغتنا قبله او
بعده وليس ذلك بكاف فى الدلالة بل هو تغيير (4)
للحرف من اصله (ولها) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى اسمائهم او بعض كلماتهم
حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا
الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطاحت فى كتابى
هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمى بما يدل على
الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارى بالنطق به بين
مخرجى دينك الحرفين فتحصل تاديته وانها اقتبسست
ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى

(1) Man. A. حرف.

(2) Man. A. et B. الكتابة.

(3) Man. B. يكتنفهم Man. C. يكشفه.

(4) Man. A. تغيير.

قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مفخم متوسّط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسومها في داخلها شكل الزاي ودلّ ذلك عندهم على التوسّط بين الحرفين فكذلك (1) رسمت انا كل حرف بتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسّطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم مثل اسم بُلْكَيْن فاضعها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدلّ ذلك على انه متوسّط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسّط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارى انه متوسّط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه و لو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكتنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق لا ربّ غيره

(1) Man. A. لذلك, Man. B. ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلّم تسليماً

الكتاب الاول فى طبيعته العمران فى الخليقة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانسانى الذى هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس
والعصبية واصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله
البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيه (فهنها) التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال فى قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص (1)
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراى
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(1) Man. B. التخصيص.

الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن الهقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان (3) او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

(2) Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخص له. Man. B. تخص.

أحواله فإذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمهيد من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدّته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعابنتها وتم له بناؤه في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرر ومن اعتمدت منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك تلافه لا ينتظرون (١) به رجوعه من غره ذلك طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح المحيل (٢) لها

(١) Man. C. ينظرون.

(٢) Man. A. المحيد.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس فى الماء ولو كان فى الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعى ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الربة والروح القلبى ويهلك مكانه وهذا هو السبب فى هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين فى الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتداخلها فان الهتدلى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه فى تعديل ريته اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهواء الذى خرج اليه حار فيستولى الحر على روحه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودى ايضا فى تمثال الزرزر الذى برومة تجتمع اليه الزرازير فى يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك عن المجرا الطبيعى فى اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى فى بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والهدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتى وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم (كما) نقله المسعودى ايضا فى حديث

مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحراء سجماسة
 طرقها موسى ابن نصير في غزايه الى المغرب وانها مغلقة
 الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على
 الحايط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث
 مستحيل من خرافات القصاص وصحراء سجماسة قد نفصها
 الركاب والادلاء ولم يقفوا على هذه المدينة لخبر ثم ان هذه
 الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور
 الطبيعىة في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود
 منها ان يصرف في الآنية والخيرى واما تشييد مدينة منها
 فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه
 انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في
تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على
 التمحيص بتعديل الرواة (1) ولا يرجع الى تعديل الرواة (2) حتى
 نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان
 مستحيلا فلا فائدة في النظر في التعديل او التجريح (3)
 ولقد عدّ اهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ او تاويله ان يوؤل بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل
 والتجريح (4) هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها

(1) Man. A. et D. الرواية.

(3) Man. A. الترجيح.

(2) Man. A. et B. الرواية.

(4) Man. A. الترجيح.

تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواية للعدالة والضبط واما الاخبار عن الوقائع فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ننظر (i) في امكان وقوعه وصار ذلك فيها اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة اذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبه يقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق والكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شئ من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان لنا ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا

(i) Man. B. ينظر. Man. C. تنظر.

شأن كل علم من العلوم وضعيًا كان او عقليًا (واعلم) ان الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير (1) الفائدة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة (2) الذى هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة فى استمالة الجمهور الى رأى او صدّهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هى تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (3) فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفئتين الذين ربّيا يشبهانه وكأنّه علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام فى منحاه لاحد من الخليفة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس الظنّ بهم او لعلمهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكماء فى امم النوع الانسانى متعددون وما لم يصل اليها من العلوم اكثر مما وصل فايين علوم الفرس الذى امر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح وايين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها وايين علوم القبط من قبلهم وانما وصل اليها علوم امّة واحدة وهم يونان خاصّة لكلف الهامون باخراجها من لغتهم واقتسداره على ذلك

(1) Man. A. et B. عزيز.

(2) Man. الحكاية.

(3) Man. B. بناؤه.

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

لكثرة المترجمين وبذل الاموال (1) فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة (2) طبيعية يصلح (3) ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالشهرات (4) وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط واذا كانت مسائله في ذاتها وباختصاصاتها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجروه والله تعالى اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا) الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسایل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع والمطلب مثل ما يذكره الحكماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثلما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة (5) التعاون والاجتماع وشاءن العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع والقتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم موزن بخراب العمران

(1) Man. A. اموالا. (2) Man. A. B. D. متعلقة. (3) Man. B. يبحث.

(4) Man. A. في الشهرات. (5) Man. A. et B. بطبيعة.

المقتضى فساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام وانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل المثلة وكذلك ايضا يقع اليها القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (1) (ومن كلام الموبدان) لبهرام ابن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل الى العمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنسوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قتيها وهو الملك (ومن كلام النوشروان) في هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح الاعمال واصلاح الاعمال باستقامة الوزراء ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها (2) حتى يملكها ولا تملكه وفي الكتاب المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار في ذلك

(1) Man. A. يستوفوا.

(2) Man. C. تاديبها.

الكتاب الى هذه الكليات (1) التي نقلناها عن الموبدان وانوشروان وجعلها في الدائرة الغربية التي اعظم القول فيها وهي قوله العالم بستان سياجه الدولة والدولة سلطان تحي به السنة والسنة سياسة يسوسها (2) الملك (3) الملك نظام يعصده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجميعه الرعية الرعية عبيد يكتنفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم يرجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت اعجازها على صدورنا واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوايدها وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الملك والدول واعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في اثنائه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجالها مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة (4) الموبدان وكذلك نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر السياسات الكثير (5) من مسايل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجلبها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حوم (6) القاضي ابو بكر

(1) Man. B. الكلمات.

(4) Man. B. فائدة.

(2) Man. B. يسومها.

(5) Man. A. et B. الكثير.

(3) Man. D. الامام راع الامام.

(6) Man. D. حزم.

الطوطوسى فى كتاب سراج الملوك ويؤنه على ابواب
تقرب من ابواب كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه
الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح
الادلة انما يبوب الباب للمسئلة ثم يستكثر الاحاديث والآثار
وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والهوبدان
وحكماء الهند والمائور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر
الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأته حوم
على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق (١) قصده ولا استوفى
مسايله ونحن الههنا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنايع انظاره وانحاء فتوفيق من الله
وهداية وان فاتنى شئ فى احصايه واشتبعت بغيره مسايله
فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفصل اثنى نهجت له السبيل
واوضحت الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (ونحن) الآن
نبين فى هذا الكتاب ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من
احوال العمران فى الهلك والكسب والعلوم والصنايع بوجوه
برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامة
وتدفع بها الاوهام وترتفع الشكوك (ونقول) لها كان الانسان

(١) Man. B. تحقيق.

متيِّزاً عن سائر الحيوانات بخواصّ اختصّ بها فنهنا العلوم والصنایع التي هي نتيجة الفكر الذي تميّز (١) به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامسى لا بفكر وروية ومنها السعى فى المعاش والاعتمال فى تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء فى حياته وبقاياه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو المساكن والتنازل فى مصر او حلة للانس بالعشرة واقتضاء الحاجات لها فى طباعهم من التعاون على المعاش كما نبّيته ومن هذا العمران ما يكون بدوياً وهو الذى يكون فى الصواحي والجبال وفى الحلل المنتجة للفقار واطراف الرمال ومنه ما يكون حضرياً وهو الذى بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله فى كل هذه الاحوال امور تحدث من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا له فلا جرم انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة فصول (الاول) فى العمران البشرى

(١) Man. A. et B. يتميّز.

على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (الثانى) فى العمران البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (الثالث) فى السدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) فى العمران الحضرى والبلدان والامصار (الخامس) فى الصنایع والمعاش والكسب ووجوهه (السادس) فى العلوم واكتسابها وتعلمها وقدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار واما تقديم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم (1) العلم كمالى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت الصنایع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما يتبين بعد والله الموفق

الفصل الاول من الكتاب الاول فى العمران البشرى على الجملة وفيه مقدمات

(الاولى) فى ان الاجتماع للانسان ضرورى ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدنى بالطبع اى لا بد له من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران بيانه ان

(1) Man. A. et B. تعليم.

الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا تصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخار هب انه ياكله (1) حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخر (2) اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذى يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنایع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه لتحصيل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع (3) الحيوانية كلها وقسم القدر بينها (4)

(1) Man. B. ياكل.

(3) Man. A. et C. الطبايع.

(2) Man. C. اخرى.

(4) Ce mot manque dans les man. A. et B.

جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهية للصنایع بخدمة الفكر والصنایع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والثراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنایع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركه الله عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله (1)

(1) Man. A. el C. يعالجه.

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتهاع ضروري للنوع الانساني وآلا لم يكمل وجودهم (١) وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه آياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في فقه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرّر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من الهموعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلته (ثم) ان هذا الاجتهاع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لها في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية في دفع العدوان بينهم لانها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهوماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو

(١) Man. A. وجوده.

معنى الملك وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للانسان
طبيعية لا بدّ لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات العجم
على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها
من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم
في خلقه وجثائه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بهتضى
الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ
خلقته ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة طبيعية
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بدّ للبشر من
الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون
بشرع مفروض من عند الله ياتى به واحد من البشر يكون
متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم
له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار
ولا تشريب وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما ترى (1) اذ
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه
الحاكم لنفسه او بالعصبية التي يقتدر بها على قهرهم
وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر
اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول (2) والآثار

(1) Man. B. et C. تراى.

(2) Man. B. الدولة.

فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم
المسخرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى
دون وازع البتة فانه ممتنع وبهذا يتبين لك غلطهم في
وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدركه الشرع كما هو
مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد
تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل
الارض كرى واتها محفوفة بغصير الماء كاتها عنة طافية عليه
فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من
تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له
الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت
الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض
ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل
وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان
قليل في شئ منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه
وهذا (1) الذى انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من

(1) Man. A. هو.
TOME I.

سطح كرتها فى شكل دايرة احاط الغصر المائى بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء اعجمية ويقال له البحر الانحضر والاسود (ثم) ان هذا المنكشف من الارض للعران فيه القفار والخلاء اكثر من عمران والخالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى جانب الشمال على شكل سطح كرتى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرتى وراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصرى التى بينها سدّ ياجوج وماجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة (1) او اقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط فى كرتها كما ان منطقة البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثماية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع فى ثلاثة

(1) Man. A. الكرى.

PROLÉGOMÈNES
d'Épiphane.

اميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة يالحق بعضها الى بعض ظهراً لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي منها خلاء لا عمارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى (ثم) ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة اقسام يسمونها السبع الاقاليم بحدود وهيئة بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول اطول ممّا بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عهرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدأ في خابج

متضايق في عرض اثني (1) عشر ميلا او نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسخ الى عرض ستهاية ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخا من مبداه وعليه هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبارها مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميorque وسردانية ودانية (1) قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحران اخران من خليجين احدهما مسامت للقسطنطينية بيدان من هذا البحر متضايقا في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة مجار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينفسخ في عرض اربعة اميال ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمد بحر نيطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هرقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على الف وثلاثماية ميل من فوهته وعليه من الجانبين امم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

(1) Man. A. et C. اثنا.

(1) Ce mot est omis dans le man. B.

الثانى من خليج هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى شنت انجل انحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهى الى بلاد انكلابة على الف ومائة ميل من مبداه وعلى صفائه من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبداه ويسمى البحر الصينى والهنديّ والحبشىّ وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها امرؤ القيس فى شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليهن من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشىّ بمران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبداء متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال

ومغربا قليلا الى ان ينتهى الى مدينة القلزم فى الجزء الخامس من الاقليم الثانى على الف واربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدّة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه وآخره عند القلزم يسامت البحر الرومى عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوكة فى الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثانى من هذا البحر الحبشى ويسمى الخليج الانحصر بخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمرّ الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهى الى الابلّة من سواحل البصرة فى الجزء السادس من الاقليم الثانى وعلى اربعماية فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلّة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة والعمان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هى جزيرة العرب كأنها دخلة (1) من البرّ فى البحر يحيط بها البحر الحبشى من الجنوب وبحر

(1) Man. A. et B. داخلة.

القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق
 فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما
 وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وابوان كسرى والحيرة
 ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي
 جزيرة العرب بلاد الحجاز فى جهة الغرب منها وبلاد
 اليمامة والبحرين وعمان فى جهة الشرق منها وبلاد
 اليمن فى جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشى
 (قالوا) وفى هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار
 فى ناحية الشمال وبارض الديلم يسمى بحر جرجان
 وطبرستان طوله الف ميل فى عرض ستماية ميل فى غربه
 اذربيجان والديلم وفى شرقيه ارض الترك وخوارزم وفى
 جنوبيه طبرستان وفى شماليه ارض الخزر واللان هذه جهلة
 البحار المشهورة التى ذكرها اهل جغرافيا (قالوا) وفى هذا
 الجزء المعمور انهار كثيرة اعطىها اربعة انهار وهى النيل
 والفرات ودجلة ونهر باخ المسمى جيحون (فاما النيل)
 فمبدأؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشر درجة
 وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
 القهر ولا يعلم فى الارض جبل اعلا منه تخرج منه عيون كثيرة
 فيصب بعضها فى بحيرة هناك وبعض فى اخرى ثم
 تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها فى بحيرة

واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال وعلى سته ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الآخر منعطفا الى الغرب ثم يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو (1) نيل السودان واممهم كلهم على ضفتيه (واما الفرات) فمبدأؤه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفيين ثم بالركة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشي وتتجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة (واما دجلة) فمبدأؤها عيون ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فيتفرق في خالجان تصب كلها في بحيرة البصرة وتقضي الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتتجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات

(1) Mau A. اهل.

ودجلة من اوله (1) جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى
الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتى دجلة (واما بهر
جيحون) فهيدوة من بلخ فى الجزء الثانى من الاقليم
الثالث من عيون هناك كثيرة وتتجلب اليه انهار عظام
ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج
منها الى بلاد خوارزم فى الجزء الثامن من الاقليم الخامس
فيصب فى بحيرة الجرجانية التى باسفل مدينتها وهى
مسيرة شهر فى مثله واليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآتى
من (2) بلاد الترك وعلى غربى نهر جيحون بلاد خراسان
وخوارزم وعلى شرقه بلاد بخارا والترمذ وسمرقند ومن
هناك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخرلجية وامم
الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس فى كتابه والشريف
فى كتاب رجار وصوّروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور
من الجبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة
لنا به لطوله وان عنايتنا فى الاكثر انما هى بالمغرب الذى
هو وطن البربر والاطوان التى للعرب من الشرق (3) والله
واهيب المعونة

(1) Le man. C. ajoute هي.

(2) Man. A. et B. فى

(3) Man. D. التى فى المغرب والمشرق

تكملة لهذه الهفدمة الثانية

فى ان الربع الشمالى من الارض اكثر عمراناً من الربع الجنوبى وذكر السبب فى ذلك نحن نرى بالشاهدة والاحبار المتواترة ان الاول والثانى من الاقاليم المعمورة اقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندى الذى فى الشرق منها وامم هذين الاقليمين واناسيتها ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيتها بحر زاهر من الكثرة وامصارهما ومدنهما تجاوز الحد عددا والعمران فيهما متدرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الروس فلنوضح ذلك ببرهانه ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسادس فنقول ان قطبى الفلك الجنوبى والشمالى اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هى اعظم الدوائر الهامة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين فى موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

المغرب حركة يومية يحرك بها ساير الافلاك التي فى جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب فى افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهى من المغرب الى المشرق وتختلف آماها باختلاف حركات الكواكب فى السرعة والبطوء وممرات هذه الكواكب فى افلاكها توازيها كلها دايرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهى دايرة فلك البروج منقسمة باثنى عشر برجاً وهى على ما تبين فى موضعه مقاطعة لدايرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دايرة معدل النهار بنصفين نصف مايل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مايل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت فاذا وقع القطبان على الافق فى جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دايرة معدل النهار يهر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا فى مبدء الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كله فى الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالى يرتفع على آفاق هذا المعمور بالتدريج الى ان ينتهى ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهناك ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على

الافق تسعين درجة وهى التى بين القطب ودائرة معدل
النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل
النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهى
الشمالية وستة تحت الارض وهى الجنوبية والعمارة فيما
بين الاربعة والستين الى التسعين مهتنة لان البحر والبرد
حينئذ لا يحصلان مترجحين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل
تكوين فاذن الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء فى
رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامنة الى رأس السرطان
والى رأس الجدى وتكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار
اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالى عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبى كذلك بمقدار متساو فى الثلاثة
وهو الهسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة
معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية
متدرجة فى مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج
الجنوبية عن الافق (1) كذلك الى رأس الجدى لانحرافها
الى الجانبين فى افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالى يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان
فى سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا

(1) Man. A. et B. لذلك.

وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الميل الذي مال
 رأس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارتفاع
 القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من
 اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في انخفاض
 الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس
 عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن
 الافق مثلها فينقطع التكوين لانفراط البرد والجهد وطول زمانه
 غير ممتاز بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها
 تبعث الاشعة على الارض على زوايا قايسة وفيما دون المسامطة
 على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قايسة عظم
 الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
 عند المسامطة وما قرب منها اكثر منه فيها بعد لان الضوء
 سبب الحر والتسخين ثم ان المسامطة في خط الاستواء تكون
 مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير
 بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان
 والجدى الا وقد صعدت الى المسامطة فتبقى الاشعة
 القايسة الزوايا تلتح على ذلك الافق ويطول مكثها
 او يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها
 وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيها بعد
 خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة مالت على

الافق في ذلك الافق بقريب من الحاحها في خط الاستواء وافراط الحرّ يفعل في الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحرّ جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحرّ الى الاعتدال او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرّج الى ان يفرط البرد في شدته بقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحرّ اعظم منه من جهة شدة البرد لانّ الحرّ اسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحرّ بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحرّ وان كيفة البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما يفعل الحرّ اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله تعالى اعلم (ومن هنا) اخذ الحكماء خلاه خط الاستواء وما وراءه واورد (1) عليهم انه معهور بالشاهدة (2)

(1) Man. D. رد.

(2) Man. A. ajoute والخبر

والأخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يردوا امتناع العمران فيه بالكلية إنما اداهم البرهان إلى أن فساد التكوين فيه قوى بافراط الحرّ فالعمران فيه أما ممتنع أو ممكن أقلّي وهو كذلك لأنّ خطّ الاستواء والذي وراءه وإن كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدًا وقد زعم ابن رشد أن خطّ الاستواء معتدل وإن ما وراءه في الجنوب في مثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عسر من هذا والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين وإنما امتنع فيما وراء خطّ الاستواء في الجنوب من جهة أن العصر المائي غمر (1) وجه الأرض هنالك إلى الحدّ الذي كان مقابله من الجهة الشماليّة قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الهاء تبعه ما سواه لأنّ العمران متدرّج وباخذ في التدرّج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع وأمّا القول بامتناعه في خطّ الاستواء فيردّه النقل والله سبحانه أعلم (ولنرسم) بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب رجارثم ناخذ في تفصيل الكلام عليها إلى آخره

(1) Man. A. غير. Man. C. عم.

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجهل فالمفصل هو الكلام في بلدان هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحدا واحدا وسياتي في الفصل بعد هذا واما المجهل فالكلام في انقسام المعمور بالاقاليم السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذي تضمنه هذا الفصل فناخذ في بيانه وقد تقدّم لنا ان الارض طافية على الماء العنصري كالغنية فانكشف كذلك بعضها بحكمة الله في العمران والتكوين العنصري فيقال ان هذا المنكشف هو النصف من سطح الارض فالمعمور منه ربعه والباقي خراب وقيل المعمور سدسه فقط فالخلاء من هذا المنكشف في جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما متصل من الغرب الى الشرق وليس بينه وبين البحر من الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يهرّ من المغرب الى المشرق مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك على الافق هذا (1) اول العمران الى ما بعده من الشمال وقال بطليموس بل بعده في جهة الجنوب عمران وقدرة بعرض البلد كما ياتي وعند اسحق بن الحسن الخازني ان وراء الاقليم السابع عمران اخر وقدرة بعرض بلده كما نذكر وهو من اية

(1) Man. B. هو.

هذه الصناعة (ثم) ان الحكماء قديما قسموا هذا المعهور في
جهة الشمال بالاقليم السبعة بخطوط وهيئة آخذة من المغرب
الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم كما ياتى تفصيله
فالاقليم الاول منها مارّ مع خط الاستواء من جهة شماليه
وليس في جنوبه الا تلك العمارة التي اشار اليها بطليموس وبعدها
القفار والرمال الى دائرة الماء الهسّاء بالبحر المحيط ويليّه من
جهة شماليه الاقليم الثاني كذلك ثم الثالث ثم الرابع والخامس
والسادس والسابع وهو آخر العمران في جهة الشمال وليس
وراءه الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا لانّ الخلاء في
جهة الجنوب اكثر منه في جهة الشمال بكثير (واتّما عروض)
هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبي الفلك
يكونان في خط الاستواء على الافق من غربه الى شرقه
والشمس تسامت رؤس اهلها فاذا بعد العمران الى جهة
الشمال ارتفع القطب الشمالى قليلا وانخفض الجنوبى مثله
وبعدت الشمس عن دائرة معدل النهار الى سمتة بمثل ذلك
وصارت هذه الابعاد الثلاثة متساوية يسمّى كل واحد منها
عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت وقد اختلف
الناس في مقدار هذه العروض ومقدارها في الاقاليم فالذى
عند بطليموس ان عرض المعهور كله سبع وسبعون درجة
ونصف فعرض المعهور خلف خط الاستواء الى الجنوب منها

أحدى عشر درجة وست وستون درجة ونصف هي عرض
الاقليم الشمالية الى آخرها فعرض الاقليم الاول منها عنده ست
عشر درجة والثاني عشرون والثالث سبع وعشرون والرابع
ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة والسادس ثلاث
واربعون والسابع ثمان واربعون (ثم) قدر الدرجة في الفلك
بستة وستين ميلا وثلاثي ميل من مسافة الارض فيكون
اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب والشمال الف ميل
وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الف ميل وثلثمائة
ميل وثلاثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معهما الف ميل
وسبعمائة وتسعين والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين
والخامس الفين وخمسمائة وعشرين والسادس الفين وثمانمائة
واربعين والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (ثم) ان ازننة
الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس
عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالى عن آفاقها
فيتفاوت قوس النهار او الليل لذلك وينتهى اطول الليل
والنهار في آخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براس
الجدى وبراس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس
الى اثني عشرة ساعة ونصف وينتهيان في آخر الاقليم
الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي آخر الاقليم الثالث الى
ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي آخر الرابع الى اربع عشرة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khalidoun.

ساعة وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ويبقى للاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد هذه الاعداد (1) من جملة اربعة وعشرين من الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تزيد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض المعموران الذي وراء خط الاستواء ست عشر درجة وخمسة وعشرون دقيقة واطول ليله ونهاره ثلاث عشر ساعة وعرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء وعرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف وعرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة وعرض الرابع ستة وثلاثون درجة وساعاته اربع عشر ساعة ونصف وعرض الخامس احدى واربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة وعرض السادس خمس واربعون درجة وساعاته خمس عشر ساعة ونصف وعرض السابع ثمان واربعون درجة ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء

(1) Man. C. et D. بعد الثلاثة عشر ونصف.

السابع من عند آخره الى ثلاث وستين درجة وساعاته الى عشرين ساعة وعند غير اسحق الخازنى من ايتة هذا الشأن ان عرض الذى وراء خط الاستواء ست عشر درجة وسبع وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشر دقيقة والثانى سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون درجة ونصف درجة والخامس ثلاث واربعون درجة والسادس سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون دقيقة وقيل فيه ست واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احدى وخمسون درجة وثلاث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع وسبعون درجة وعند ابى جعفر الخازنى من ايتهم ايضا ان عرض الاقليم الاول من درجة الى عشرين وثلاث عشرة دقيقة والثانى الى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة والثالث الى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة والرابع الى ثمان وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الى اثنين واربعين وثمان وخمسين دقيقة والسادس الى سبع واربعين ودقيقتين والسابع الى خمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرنى من اختلافهم فى العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم والله خلق كل شئ فقدره تقديرا (فصل) والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة فى

طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والهسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحر في كل جزء منها ونحاذى (١) بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشناق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي لهلك صقلية من الافرنج وهورجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج سلفه عن امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتب جهة للمسعودي وابن خرداداذبه والحوقلی والعذري واسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها

الاقليم الاول

وفيه من جهة غربيه الجزاير النخالات التي منها بدء بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكترة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفارين من الافرنج مرّت بها في واسط هذه المائة وقتلوه فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض

(١) Man. A. نجازى. B. نحزى.

اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يلوحونها (1) الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن فى البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابتها والى اين توصل اذا مرّت على الاستقامة من البلاد التى فى ممرّ ذلك المهبّ واذا اختلف المهبّ وعلم حيث يوصل على الاستقامة حذى به القلع محاذاة تحمل السفينة بها على قوانين فى ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم رساء السفر فى البحر والبلاد التى حفاى البحر الرومى وفى عدوتيه مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ما هى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهابّ الرياح وممرّاتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص (2) وعليها يعتمدون فى اسفارهم وهذا كله مفقود فى البحر المحيط فلذلك لاتالجج فيه السفن لانّها ان غابت عن مرأى السواحل فقلّ ان تهتدى الى الرجوع

(1) Man. D. يرمونها.

(2) Man. A. الكنباص.

اليها مع ما ينعقد في جوّ هذا البحر وعلى صفح ما به (١) من
البحر الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
أضواء الشمس المنعكسة من سطح الأرض فتخلّلها (٢) فلذلك
عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها (وإما الجزء
الأول) من هذا الاقليم ففيه مصبّ النيل الآتي من مبدائه
عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب
إلى البحر المحيط فيصبّ فيه عند جزيرة أوليل (٣) وعلى هذا
النيل مدينة سلى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في ملكة اهل
مالى من أمم السودان وإلى بلاده يسافر تجّار المغرب لأقصى
وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوائف الملثمين
مفاوز يجولون فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال
لهم لملم وهم كفّار ويكتبون فى وجوههم وأصدانهم وأهل
غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للشجّار
فيجلبونهم إلى المغرب ومنهم عامّة رقيقهم وليس وراءهم فى
الجنوب عمران يعتبر إلا أناسى أقرب إلى الحيوان العجم
من الناطق يسكنون الغياض والكهوف ويأكلون العشب
والحبوب غير مهية (٤) وربما يأكل بعضهم بعضا وليسوا فى
أعداد البشر وفواكه بلاد السودان كلّها من قصور صحراء

(١) Man. B. سفح.

(٢) Man. C. فتخلّلها

(٣) Man. C. أوليك.

(٤) Man. A. مهيّات.

المغرب مثل توات وتيكرارين وواركلان (1) وكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفي شرقى هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثانى وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى واصبحت في ملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالى في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبى بلاد كوكو بلاد كانم من اعم السودان وبعدهم ونكارة (2) على ضفة النيل من شماليه وفي شرقى بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي (3) وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم (وفيها) يمر نيل مصر ذاهبا من مبدائه عند خط الاستواء الى البحر الرومى في الشمالى ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط هذه اللفظة

(1) Man. A. مراركلان. B. قزاركلان.

(3) Man. C. زغانة, D. زغاوة.

(2) Man. C. et D. ونقارة.

فبعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة
بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم
القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون يجتمع كل
خمسة منها في بحيرة وبينها ستة اميال وتخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة
واحدة في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمرّ الغربى منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصبّ في البحر المحيط ويخرج الشرقى
منه ذاهبا الى الشمال في بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما
وينقسم في اعلا ارض مصر فيصبّ ثلثه من جداوله في
البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصبّ واحد
في بحيرة ملحّة قبل ان يتّصل بالبحر وفي وسط هذا
الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
في غربى هذا النيل وبعدها علوة (1) وبلق (2) وبعدهما جبل
الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال وهو جبل
على من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل
ويصبّ في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه

(1) Man. A. et B. غلو.

TOME XVI.

(2) Man. A. et B. يلاق.

المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان تنتهى عشر مرحلة والواحات فى غربها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة (وفى) وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتى من وراء خط الاستواء ويمر قبالة مقدشو التى فى جنوب البحر الهندى ذاهبا الى ارض النوبة فيصتب هناك فى النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم من هذا الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان فى الجزاير التى فى داخله وهى متعددة يقال تنتهى الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعهور فى الجنوب وفيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها فى هذا الاقليم الا طرف من بلاد الصين فى جهة المشرق وبلاد اليهن فى الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيها

بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر
 في شرقها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز
 واليمامة وما يليهما كما نذكر في الاقليم الثاني وما بعده
 فاما الذي على ساحل هذا البحر غربيه فبلد زالع من
 اطراف الحبشة ومجالات البجة في شمالي الحبشة ما
 بين جبل العلاقى الذي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم
 الهابط من البحر الهندي الى ارض مصر وتحت بلد زالع
 من جهة الشمال في هذا البحر خاليج باب الهندب يضيق
 البحر الهابط هنالك بهزاحة جبل المندب الهائل (1) في
 وسط البحر الهندي مهتداً مع ساحل اليمن الغربى من
 الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر
 بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او نحوها
 ويسمى باب الهندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
 السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن
 ودهلك وقبالته من غربيه مجالات البجة من اعم السودان
 كما ذكرنا ومن شرقيه تهائم اليمن على ساحله ومنها بلد
 حلى بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى
 ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضا
 وتنعطى مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هنالك

(1) Man. B. المائل.

من جهة شرقها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبحرة العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبيه ثم يليها شرقا بلاد سفالة (1) على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط (واما) جزاير هذا البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة ارض سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين وتحتف بها في هذا البحر من جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيل الى جزاير اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيوب والافاوية (2) وفيما يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزاير من احوال العمران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليين كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم

(1) Man. A. et B. سفالة.

(2) Man. A. B. C. الافولا.

وتهامة اليين وبعدها بلد صعدة مقرّ الايئة الزيدية وهي بعيدة
عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك
مدينة عدن وفي شمالها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض
الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما
بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء
السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم
الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه في
العاشر فيه اعالي بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو
وقبالتها من جهة المشرق جزاير السيلا وقد تقدّم ذكرها وهذا
آخر الكلام في الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في
البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التي مرّ
ذكرها في الجزء الاول والثانى منه في الجانب الاعلا منهما
ارض قمنورية وبعدها في جهة المشرق اعالي ارض غانة ثم
مجالات زغاي (1) من السودان وفي الجانب الاسفل منها
صحراء نيسرة (2) متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز

(1) Man. C. زغاوة.

(2) Man. C. نيسر.

يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان
وفيهما مجالات الملتمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما
بين كدالة ولمتونة ومسوفة (1) ولمطة ووتركة (2) وعلى
سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان (3) ثم مجالات ازكار
من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها
فى الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من اعم السودان
ثم قطعة من ارض التاجوين وفى اسافل هذا الجزء الثالث
وهى جهة الشمال منه بقية ودان (4) وعلى سمتها شرقا ارض
سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفى الجزء الرابع من
اعلاه بقية ارض التاجوين ثم تغرض فى وسط هذا الجزء
بلاد الصعيد حفافى النيل الذاهب من مبدائه فى الاقليم
الاول الى مصبه فى البحر فيمر فى هذا الجزء بين الجبلين
الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من
شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك
حفافيه الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك
شعبتين ينتهى الايمن منهما فى هذا الجزء عند اللاهون
والايسر عند دلاص وفيها بينهما اعلى ديار مصر وفى الشرق
من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبة فى الجزء الخامس

(1) Man. A et B. مسوفة.

(3) Man. A. B. C. فزان.

(2) Man. C. وزيكة.

(4) Man. A. السودان.

الى ان تنتهى الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندى فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله تعالى وفى ساحلها جدّة مقابل بلد عيذاب فى العدوّة الغربيّة من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتبالّة الى عكاظ من الشمال وتحت. بلاد نجد بقيّة ارض الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما ارض اليمامة وعلى سمت نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندى الى الشمال كما مرّ ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيغير ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلّهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلا من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الأخرى فى السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلا كلّه وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران منه وتقابلها بلاد الطوبران وهى من السند ايضا فيتصل السند كلّه فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين

ارض الهند ويمرّ فيه نهرة الآتى من ناحية بلاد الهند ويصبّ
فى البحر الهندى فى الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل
البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا (1) وتحتها
الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعلى
بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا
من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار فى
الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندى وتحتها من
الجانب الاسفل ارض كابل وبعدهما شرقا الى البحر المحيط
بلاد القنوج وما بين قشмир الداخلة وقشмир الخارجة عند
آخر الاقليم وفى الجزء التاسع ثم فى الجانب الغربى منه
بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقى فتتصل
من اعلاه الى العاشر وتبقى فى اسفل ذلك الجانب
قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون (2) ثم تتصل بلاد
الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

(1) Man. A. بكهرا.

(2) Man. A. خيفون.

الاقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر امم لا يحصيهم الا خالقهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس ونول (1) وعلى سمتها شرقا بلاد درة ثم بلاد سجهاسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الثايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه ام المصامدة فسكسيوة (2) عند البحر المحيط ثم هتانة (3) ثم تينملل (4) ثم كدميوة ثم هسكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل صناكة وهم صنهاجة ثم في آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك ام اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة

(1) Lisez نون.

(2) Man. A. فسكسيوة.

TOME I.

(3) Man. C. هتانة.

(4) Ibid. نيتهال.

غربيه مطلق على بلاد المغرب الاقصى وهى. فى جوفيه فسفى
 الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر
 المحيط منها رباط اسفى ومدينة سلا وفى الشرق عن بلاد
 مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هى التى
 تسمى المغرب الاقصى فى عرف اهلها وعلى ساحل البحر
 المحيط منها بلد ارضيلا والعرايش وفى سمت هذه البلاد
 شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفى سواحلها
 على البحر الرومى بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا البحر
 الرومى يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة فى
 الناحية الغربية من الجزء الرابع ويذهب مشرقا فينتهى الى
 بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد انفسح
 جنوبا وشمالا فدخل فى الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده تبتدى
 من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم
 يتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد بجاية فى ساحل البحر
 ثم قسطنطينية (1) فى الشرق عنها وفى آخر الجزء الاول وعلى
 مرحلة من هذا البحر وفى جنوبى هذه البلاد مرتفعا الى
 جنوب المغرب الاوسط بلد شير بجبل تيطرى ثم بلد المسيلة
 ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن

(1) قسطنطينية, Man. C., قسطنطينية, Man. B., قسطنطينية, Man. A.

كما مرّ وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء
الثانى من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول يمرّ جبل درن
على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق
فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومى مسافة من شماله فإلقطعة
الجنوبية عن جبل درن غربها كله مغاوزه فى الشرق منها بلد
غدامس وفى سمتها شرقا ارض ودان التى بقيتها بالاقليم
الثانى كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين
البحر الرومى فالغربى منها جبل اوراس وتبسة والاريس
وعلى ساحل هذا البحر بلد بونة ثم فى سمت هذه البلاد
شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة
ثم المهدية وفى جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد
الجريد توزر وقفصة ونفراوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة
القيروان وجبل وشلات وسبيطة وعلى سمت هذه البلاد كلها
شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومى وبازايها بالجنوب جبال
دمر ومقرة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفى مقابله
غدامس التى نذكرها فى آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا
الجزء فى الشرق سويقة (1) ابن شكود على البحر وفى
جنوبها مجالات العرب فى ارض ودان والجزء الثالث من
هذا الاقليم يمرّ فيه ايضا جبل درن الا انه ينطف عند آخره

(1) Man. A. سويقية.

الى الشمال فيذهب على سمتة الى ان يدخل فى البحر الرومى
ويستقى هناك طرف اوئان والبحر الرومى من شماليه غمر
طايفة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذى
وراء الجبل فى الجنوب وفى الغرب منه بقية ارض ودان
ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار
الى آخر الجزء فى الشرق وفيما بين الجبل والبحر فى
الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها
العرب ثم اجدا بية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليثة (1)
على البحر هنالك ثم فى شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحة الى آخر الجزء وفى الجزء الرابع من هذا
الاقليم وفى الاعلا من غربه صحارى برنيق واسفل منها بلاد
هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومى فى هذا الجزء فيغمر طايفة
منه ذاهبا الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه
وبين آخر الجزء قفار يجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا
بلاد الفيوم وهى على مصب احدى الشعبين من النيل
الذى يمر على اللاهون من بلد الصعيد فى الجزء الرابع من
الاقليم الثالث فيصب فى بحيرة الفيوم وعلى سمتة شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثانى الذى يمر
بدلاص عند بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثانى ويفترق هذا

(1) Man. G. et D. طلثة.

الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطنوق (1) وزفتة وينقسم الايمن منهما من تروط (2) بشعبين آخرين ويصبّ جميعهما في البحر الرومي فعلى مصبّ الغربى من هذه الشعب بلاد اسكندرية وعلى مصبّ الوسط بلد رشيد وعلى مصبّ الشرقى بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفالما وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك ان بحر القلزم ينتهى من الجنوب وفي المغرب منه عند السويس لانه في ممرة من البحر الهندى الى الشمال ينعطف آخر الى جهة المغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة تنتهى في الطرف الغربى منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبل فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم الحورا في آخره ومن هناك ينعطف ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مرّ في الاقليم الثانى في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربيه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتصايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفصيا الى ارض الشام وفي غربى هذا الباب فحصى التيه ارض

(1) Man. A. et B. سطنوق.

(2) Lisez تروط.

جرداء لا تثبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طايفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المضائق لبحر السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وعرة وهنالك منتهى البحر الرومي في جهة الشرق على هذه القطعة اكثر السواحل الشامية (1) ففي شرق عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم عرة ثم ينعطى البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يتجاوز (2) هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين ارض مصر والشام ففي طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور

(1) Man. B. et C. سواحل الشام.

(2) Man. A. et B. يجاوز.

من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا
 وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيما ودومة الجندل
 وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في
 جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم
 صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند جبل
 اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى ادعات
 وحوارن وعلى سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء
 وهي آخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى الشمال من
 آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبسروت من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت
 دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة
 الشمالية آخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن
 بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء
 وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد
 نجد واليهامة ما بين جبل الغرج والضمان الى البحرين
 وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات
 بلد الحيرة والقادسية ومغايب الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة
 البصرة وفي هذا الجزء ينتهى بحر فارس منه عبادان والابلّة
 في اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر
 دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخر

من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصبّ في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه مضايقة لآخره في شقيه وصيقة عند منتهاه مضايقة للحدّ الشمالى منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر ولاحساء وفي غربيها الخطّ والضمان وبقيّة ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس فمن اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتدّ من هذا البحر مشرقا ووراء على الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجيرم على ساحل هذا البحر وفي شقيه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودرابجرد وفسا (1) واصطخر والشاهجان وشيراز وهى قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خورستان ومنها الاهواز وتستر وجندى سابور والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان هى حدّ بين فارس وخورستان وفي شرقى بلاد خورستان جبل الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها فى ارض فارس وتسمى الزموم وفي الجزء السابع ثم فى اعلى منه من (2) الغرب بقيّة جبال القفص ويليها من الجنوب

(1) Man. A. et B. نسا.

(2) Man. B. فى

والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها السروذان (1) والشيرجان (2) وجيرفت وتردشير (3) والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقيّة بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في الشرق عن عرض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان في الجنوب وارض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وكوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخلاج من اعم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبل الغور وقاعدتها غزنة فرصة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومروالرو والطاقان والجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ وفي

(1) Man. B. السروذان.

(3) Man. A. نردشير.

(2) Man. C. الشرجان.

شرقيه مدينة الترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وخان فى حدود بدخشان مما يلى الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خربات (1) ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمتة الى ان يصبّ فى بحيرة خوارزم فى الاقليم الخامس كما نذكر ويبدّء عند انعطافه فى وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الجبل والوخش من شرقيه وانهار اخر من جبال البتم من شرقه ايضا وجوفى الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدّة له نهر ونخشاب يخرج من بلاد التبت وهى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمرّ مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه فى طريقه جبل عظيم يمرّ فى وسط الجنوب فى هذا الجزء (2) ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيحوز بلاد التبت الى القطعة الشرقيّة الجنوبيّة من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الجبل وليس فيه الا مسلك واحد فى وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفصل بن يحيى سدا

(1) Man. C. خرباب.

(2) Man. B. النهر.

وبنى له بابا كسدّ ياجوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فنفذ تحته فى مدى بعيد الى ان يمرّ ببلاد الوخش ويصبّ فى نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمرّ هابطا الى الترمذ فى الشمال الى بلاد الجوزجان وفى الشرق من بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفى العدوّة الشرقية هنالك من النهر بلاد الجبل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدّها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربى نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذى خلفه بلاد التبت ويمرّ تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمرّ نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصبّ فيه منها نهر بلاد الوخش يصبّ فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخا يخرج من جبال البتم من مبدائه عند الجوزجان ويصبّ فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلد امل من خراسان وفى شرقى النهر من هنالك ارض الصغد واشروسنة من بلاد الترك وفى شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شماليها وفى الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفى جنوبيها بلاد الهند وفى

شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلجية (1) من الترك الى آخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض البغرغر من الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بقية بلاد البغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير (2) من الترك ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتهما في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثير فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه وهذه البلاد في الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبل كلها مجالات للترك اسم لا تحصى وهم طواعن رحالة اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنتاج والركوب والاكل وطوايفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الداينين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

(1) Lirez (2) الخزلجية, C. الخزلجية, Mnn. B. et D.

الأقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الأول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط مستطيلة من أوله جنوبا إلى آخره شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر ميلا بين طريف والجزيرة الخضراء شمالا وقصر المجازوسبتة جنوبا ويذهب مشرقا إلى أن ينتهي إلى وسط الجزء الخامس من هذا الأقليم وينفسح في ذهابه بتدرج إلى أن يغمر الأربعة الأجزاء وأكثر الخامس ويغمر عن جانبه طرفا من الأقليم الثالث والخامس كما نذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي أيضا وفيه جزائر كثيرة وأعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ميورقة ثم منرقة ثم سردانية ثم صقلية وهي أعظمها ثم بلبنوس ثم اقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في أجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الأقليم الخامس خليج البنادقة يذهب إلى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا إلى أن ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه أيضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الأقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضايقا في عرض رمية السهم إلى آخر الأقليم

ثم يفضى الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش (١) ذاهبا الى الشرق فى الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك فى اماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث ويبقى فى الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين وبعدها ستة على البحر الرومى ثم تيطاوين ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة فى هذا الجزء فى شماله وشمالي الخليج منه وهى كلها بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومى اولها طريف عند مجمع البحرين وفى الشرق عنها على ساحل البحر الرومى الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم الهنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه شريش ولبله وقبالتهما فيه جزيرة قادس وفى الشرق عن شريش ولبله اشبيلية ثم اسجة وقرطبة ومرتكة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شنتمرية وشلب على البحر المحيط غربا وفى الشرق عنها بطليوس وماردة ويابرة ثم غافق وترجالة ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر تاجة

(١) Lisiez بنطش.

وفى الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ثم
قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل
الشارات يبداء من الغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر
الجزء من شماليه فينتهى الى مدينة سالم فيما بعد النصف
منه وتحت هذا الجبل طلبيرة فى الشرق عن قورية ثم طليطلة
ثم وادى الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما
بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غرب الاندلس واما شرق
الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى منها من بعد المرسية
قرطاجنة ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة آخر الجزء
فى الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة (1) يتاخمان بسطة
وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة
تحت بلنسية شرقا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة آخر
الجزء ثم تحت هذه شمالا ايضا جنجاله ووبذة متاخمتان
لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة
وشمالا عنها ثم فى الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم
سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثانى من
هذا الاقليم غمر الماء جميعه الا قطعة من غربيّه فى الشمال
فيها بقية جبل البرتات معناه جبل الثنايا والمسالك يخرج
اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبداء من

(1) Man. A. et B. شقورة.

الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويتر في الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثاني فتقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها الى البر المتصل ويسى ارض غشكونية وفيه مدينة جرندة وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومى من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذى غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرها ففي غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة لا قطار ويقال ان في دورها سبعمائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازر ومسينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرتا غودش (1) ومالطة والجزء الثالث من هذا الجزء مغهور ايضا بالبحر الا ثالث قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغهور ايضا بالبحر كما مرّ وجزائره كثيرة واكثرها غير مسكون كما فى الثالث والمغهور منها جزيرة بلبنس فى الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم

(1) جزيرة غودش. Man. D. جزيرة تا غودش. Man. A. et B.

غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهى الصلع الغربى منها الى آخر الجزء فى الشمال وينتهى الصلع الجنوبى منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى فى الجانب الشرقى من الجزء قطعة نحو الثلث يمرّ الشمالى منها الى الغرب منعطفًا مع البحر كما قلناه وفى النصف الجنوبى منها اسافل الشام ويمرّ فى وسطها جبل اللكام الى ان ينتهى الى آخر الشام فى الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقى الشمالى ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويحوز عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق وتقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متّصل بعضها ببعض الى ان تنتهى الى طرف خارج من البحر الرومى متاخم الى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهى التى تفضى الى بلاد الارمن وفى هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التى قدمنا ان فيها اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومى وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس فى اول الجزء من الجنوب متاخمة لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفى

شمال انطرسوس جبلة ثم اللادقية ثم اسكندرية ثم سلوقية
وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
وآخر الجزء فحفافيه من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا
حصن الخوابى من غربيه وهو للحشيشية الاسماعيليه
ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصيات وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل
بلد سليية فى الشمال عن حمص وفى الشمال عن مصيات
بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها فى شرق الجبل
المعرة وفى شرقها المراغة وفى شمال انطاكية المصيصة ثم
ادنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل
قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل
حلب ويقابل عين زربة منبج آخر الشام واما الدروب فعن
يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد الروم التى هى
لهذا العهد للترکمان وسلطانها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاكية (1) والعلايا واما بلاد الارمن التى
بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية
وانقرة الى آخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس فى
بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان فى شرقيه فيمر نهر
جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم

(1) Telle est la leçon des manuscrits; mais il faut lire : انطالية.

بالمصيصة ثم ينطفى هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب
 فى البحر الرومى جنوب سلوقية ويمرّ نهر سيحان موازيا
 لنهر جيحان فيحاذى انقرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب
 الى ارض الشام ثم يمرّ بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان
 ثم ينطفى الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند
 المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التى يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففى جنوبها بلد
 الرافقة والرقّة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم
 شميساط وآمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله
 وهو ايضا آخر الجزء من شرقه ويمرّ فى وسط هذه القطعة نهر
 الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمرّان
 فى بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمرّ
 نهر الفرات فى غربى شميساط وسروج ثم ينحرف الى
 الشرق فيمرّ بغرب الرافقة والرقّة ويخرج الى الجزء السادس
 ويمرّ دجلة فى شرق آمد وينطفى قريبا الى الشرق
 فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفى الجزء السادس من
 هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفى الشرق عنها بلاد
 العراق متصلة بها تنتهى فى الشرق الى قرب آخر الجزء
 ويعترض آخر العراق هناك جبل اصبهان هابطا من جنوب
 الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من

آخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة في الجزء الخامس فيقطع في الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس في شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا وتبقى صفيين في غربه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعض بقصر ابن هبيرة وبالجامعين ويخرج جميعها في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرقا على سمته الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على سمته ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمته فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكريت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه والزاب الكبير

والصغير كذلك ويمرّ على سمته جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهى الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمرّ جنوبا على غرب جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتكثر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصبّ هنالك فى بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الذجلة والفرات قبل مجعهما ببغداد هى بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة والفرات بعد مفارقة بغداد نهر اخرياتى من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهى الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم يعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبداء من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور فيقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان فى الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفي وسطها بلد نهاوند (١) وفي شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذى يقابلها من جبل العراق

(١) Man. A. et B. البلهوس.

يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير الذى على دجلة من ورايه فى آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربايجان ومنها تبريز والبيلقان وفى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطش وهو بحر الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربيه وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوین وبقیتها فى الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربيه ويمر بالاقليم الثالث ثم ينطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق فى شرقيه الذى مر ذكره هنالك وانه محيط ببلاد البهلوس فى القطعة الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد البهلوس من شرقيها وتحتة هنالك قاشان ثم قم وينطف فى قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشئ ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل عند منطفه واستدارته على بلد الرى فى شرقيه ويبدأ من منطف اخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه هنالك قزوین ومن جانبه الشمالى وجانب جبل الرى المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل فى الاقليم الخامس فى هذا الجزء فى نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمتة مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل فى الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الرى وهذا الجبل من عند مبدئيهها بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التى بين فارس وخراسان وهى شرقى قاشان وفى آخرها عند هذا الجبل بلد استراباد وحفافي هذا الجبل من شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان وفى جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان آخر الجزء وفى شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفى الشمال عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال والشرق مفاوز معطلة وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال وفى عدوته الغربية زم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباد المعترض فى الجزء السابع قبله ويخرج من هذا

الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمرّ الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرق نهر جيحون من هذا الجزء في الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اشروسنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واشروسنة ارض يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش يمرّ الى آخر الجزء شرقا وتأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمرّ معترضا في الجزء الثامن الى ان يصبّ في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت وتختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون يبداء من الاقليم الخامس وينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطة بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض

بخارا وخوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق أرض خندة وفيها بلاد أسيجاب وطراز⁽¹⁾ وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد فرغانة والشاش أرض الخرخية في الجنوب وأرض الخاخلية في⁽²⁾ الشمال وفي شرق الجزء كله إلى آخره أرض الكيماكية وتتصل في الجزء العاشر كله إلى جبل قوفايا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الأمم كلها شعوب الترك

الاقليم الخامس

الجزء الأول منه أكثره مغمور بالماء إلا قليلا من جنوبه وشرقه لأن البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه قطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية أرض الاندلس منت ميور⁽³⁾ على البحر عند أول الجزء من الجنوب والغرب وشلمنكة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن شلمنكة ابلة آخر الجنوب وأرض

(1) Les man. A. B. C. طراز.

(2) Man. C. et D. الخاخية.

(3) Man. A. مينة منور. B. منت منور.

قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض
ليون وبرغشت (1) ثم وراها في الشمال ارض جليقية الى
زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الصلح
الغربي بلد شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق
الاندلس مدينة تطيلة (2) عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً
عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها
شرقاً وشمالاً وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم تاجرة فيما بينها
وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذياً
للبحر وللصلح الشمالى الشرقى منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر من عند بنبلونة في جهة الشرق الذى ذكرنا
من قبل انه يتصل في الجنوب بالبحر الرومى في الاقليم
الرابع ويصير حجراً على الاندلس من جهة الشرق وئساياء
ابواب لها تفضى الى بلاد غشكونية من امم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونة واريونة على ساحل البحر الرومى
وجرندة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوثة شمالاً عن جرندة واما المنكشوف في هذا
الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل
زاويته الحادة وراء البرتات شرقاً وفيها على البحر المحيط

(1) Man. A. برغشت. B. برغشت. (2) Man. A. et B. تطيلة.

C. رغشت.

على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرتات بلد بيونة
وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
ارض بيطو من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في
الناحية الغربية منه ارض غشكونية وفي شمالها ارض بيطو
وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكونية قطعة من
البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مايلا الى
الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخلية في
جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى
سمتها في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سمتة
ارض برغونة وفي الشرق عن طرف جنوة للخارج من البحر
الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظيمة
كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابة بتركهم الاعظم وفيها من
المباني الضخمة والهيكل المهيولة والكنائس العادية ما هو
معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من
المشرق الى المغرب مفروش قاعه ببلاط النحاس وفيها
كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي
الشمال عن بلاد رومة بلاد انبرضية الى آخر الجزء وعلى هذا
الطرف من البحر الذي في جونه (1) رومة بلد نابل في

(1) Man. B. جوفه.

الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج
وفى شمالها طرف من خليج البنادقة دخل فى هذا الجزء
من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء
وانتهى فى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة
من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد
انكلاية فى الاقليم السادس وفى الجزء الثالث من هذا
الاقليم فى غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر
الرومى يدخل جانب من برّها فى الاقليم الرابع فى البحر
الرومى فى جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت
الشمال الى هذا الجزء وفى شرق بلاد قلورية بلاد انكبردة
فى جون بين خليج البنادقة والبحر الرومى ويدخل طرف
هذا الجون فى الاقليم الرابع وفى البحر الرومى ويحيط به
من شرقه خليج البنادقة من البحر الرومى ذاهبا الى سمت
الشمال ثم ينعطف الى المغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالى
ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه وبذهب
معه فى الشمال ثم يغرب معه فى الاقليم السادس الى ان
ينتهى قبالة الخليج فى شماله فى بلاد انكلاية من امم
اللمانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا
الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى
المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد اللمانيين عند طرف

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضروسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل ضوسين منهما طرف في البر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي وبذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطنس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين (1) ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطنّها لهذا العهد مجالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا (2) وكانت من قبلهم للروم وغلبتهم عليها لام الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد

(1) Man. A. et B. اليونان. C. اللونانيين. (2) Man. A. et B. برصة.

عمورية وفي شرق عمورية نهر قباقب الذى يمد الفرات
يخرج من جبل هنالك ويذهب فى الجنوب حتى
يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره فى
الاقليم الرابع وهناك فى غربيه آخر الجزء مبداء نهر
سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمتة وقد مرّ
ذكرهما وفى شرقيه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب على
سمته وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاوية
التي بين الجنوب والشرق عن هذا الجزء وراء الجبل
الذى يبداء منه نهر دجلة بلد ميافارقين ونهر قباقب الذى
ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها
ارض باطوس كما قلناه واسفلها الى آخر الجزء شهالا ووراء
الجبل الذى يبداء منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
والقطعة الثانية شالية شرقية جنوبية على الثلث فى الجنوب
منها مبداء الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة
بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهى عريضة وفى آخرها
عند مبداء الفرات بلد حرشنة (١) وفى الزاوية الشرقية
الشمالية قطعة من بحر نيطش الذى يمدّه خليج القسطنطينية
وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربه بلاد
ارمنية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق

(١) Man. A. حرشنة. B. حرسنة.

وفيهما بلد ارزن في الجنوب والمغرب وفي شمالها تفليس
ودبيل وفي شرقي ارزن مدينة خللاط ثم برذعة وفي جنوبها
بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد
ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد الهراغة في شرقي
جبل (1) الاكراد المسمى بارما وقد مر ذكره في الجزء السادس
منه ويتأخم بلاد ارمينية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله
من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان وآخرها في هذا الجزء
شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في
الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر
طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر
وهم التركمان ويبدأ من عند هذه القطيعة البحرية في
الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى
الجزء الخامس وتمر فيه منعطفة ومحيطة ببلاد ميفارقين
ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة
في اسفل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر
وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب
تفضى من الجانبين ففي جنوبها بلاد الأبواب متصلة في
الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب
الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها

(1) Man. A. et B. جبلها.

ببلاد ارمينية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السريز وفي الزاوية الغربية الشمالية منها وهي زاوية الجزء كله قطعة ايضا من بحر نيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحقّق بهذه القطعة من نيطش بلاد السريز وعليها منها بلاد طرابزنده وتتصل بلاد السريز بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهى شرقا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهى الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبل الديلم الى قزوين وفي غربى تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه انفسا وتكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصبّ فيها نهر اتل في هذا البحر وتبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

للغز من امم الترك ويقال لهم الخزر كانه عرب وصارت
خاوه غينا وشددت الزاى ويحيط بهذه القطعة جبل من
جهة الجنوب داخل فى الجزء الثامن ويذهب فى الغرب
الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر
طبرستان فيحتق به ذاهبا معه الى بقيته فى الاقليم السادس
ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياه
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم
يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا
الطرف منه هو الذى اعترض فى هذا الجزء بين ارض
السريبر وارض الخزر واتصلت ارض الخزر فى الجزء
السادس والسابع حفافى هذا الجبل المسمى جبل شياه
كما ياتى والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله
مجالات للغز من امم الترك وفى الجهة الجنوبية الغربية
منه بحيرة خوارزم التى يصب فيها نهر جيحون دورها
ثلثماية ميل ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه
المجالات وفى الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غرغون
دورها اربعماية ميل وماؤها حلو وفى الناحية الشمالية من هذا
الجزء جبل مرغار (1) ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه
وهو متصل بآخر الجزء وفى الجنوب عن بحيرة غرغون

(1) Man. B. مرغان.

جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيا يسمى غرغون وبه
سميت البحيرة وتتجلب منه ومن جبل مرغار شمال
البحيرة انهار لا ينحصر عددها فتصب فيها من الجانبين
وفى الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من امم
الترك فى غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحده من
جهة الشرق آخر الجزء جبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج
يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حين
ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من
آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتق هنالك
بالبحر المحيط الى آخر الجزء فى الشمال ثم انعطف مغربا
فى الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط
من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر
من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت فى
جنوبه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى الغرب فيها آخر
بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع فى شرقيه وفى
الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب الى سمته الى
الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
نذكر وبقيت منه القطعة التى احاط بها جبل قوفايا عند
الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب
وهى من بلاد ياجوج وماجوج وفى الجزء العاشر من هذا

الأقليم أرض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوفايا حين مرفيه وما سوى ذلك فكله أرض ياجوج وماجوج

الأقليم السادس

فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فانكشفت قطعة من الأرض في هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولاً وعرضاً وهي كلها أرض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء بلاد صابس (١) متصلة بأرض بيطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الأقليم الخامس وشماله والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر المحيط من غربه فمن غربه في قطعة مستطيلة اكثر من النصف الشمالى من شرق أرض برطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربى منه بعض الشئ وفيه هنالك قطعة من جزيرة

(١) Man. A. et B. صاليس.

انكطرة وهى جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها فى الاقليم السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء بلاد برمندية وبلاد افلادنش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا وكلها لاسم الافرنجة وبلاد اللمانيين فى النصف الشرقى من هذا الجزء فجنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهرنكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيط فى الزاوية الشمالية الشرقية ارض افرندة وكلها لاسم اللمانيين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى الناحية الغربية بلاد يوانية (1) فى الجنوب وبلاد شصونية فى الشمال وفى الناحية الشرقية بلاد انكرية فى الجنوب وبلاد بلونية فى الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا فى الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شصونية آخر النصف الغربى وفى الجزء الرابع فى ناحية الجنوب ارض جثولية وتحتها فى الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف الشرقى وفى شرق ارض جثولية بلاد جرمانية وفى الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر

(1) Man. C. نوابية.

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

الرومى وعند مدفعه فى بحر نيطنس فيقع قطعة من بحر نيطنس فى اعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء يمتدّها الخليج وبينهما فى الزاوية بلد مسناة وفى الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم فى الناحية الجنوبية منه بحر نيطنس يتصل من الخليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمرّ فى هذا الجزء كله وفى بعض السادس على طول الف وثلاثماية ميل من مبدائه فى عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر فى الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل فى غربه هرقلية على ساحل نيطنس متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفى شرقه بلاد اللانية (1) وقاعدتها سنوبلى (2) على بحر نيطنس وفى شمالى بحر نيطنس فى هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان من شرقها فى هذا الجزء ومن شمالها فى الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها فى الجزء الرابع من هذا الاقليم وفى الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطنس وينحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفى جنوبه ومنفسحا الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية اللانية التى كانت آخر

(1) Man. A. et B. لانية.

(2) Man. C. سويلى.

جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الجنوبية ارض بلنجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كوية (1) المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتة مغربا فيحوز (2) هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارقتة بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه في الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض بسجرت (3) وبجناك من امم الترك وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولنج (4) من الترك وفي الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبداء نهر اثل من اعظم انهار العالم وممره

(1) Man. A. شيكوية.

(3) Man. A. et B. سجرت.

(2) Man. A. B. et D. يحوز.

(4) Lisez الخولنج.

فى بلاد الترك ومصّبه فى بحر طبرستان فى الاقليم الخامس
وفى الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من
جبل فى الارض المنتنه من ثلاثة ينابيع تجمع فى نهر
واحد ويمرّ على سمت المغرب الى اخر السابع من هذا
الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع
فيمرّ على طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج فى الجزء
السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف
ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس
ويخرج منه جداول تذهب مغربا وتنصبّ فى بحر فيطش
فى ذلك الجزء ويمرّ هو فى قطعة بين الشمال والشرق فى
بلاد بلغار (1) فيخرج فى الجزء السابع من الاقليم السادس
ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ فى جبل شياه ويمرّ
فى بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس فى الجزء السابع
منه فيصبّ هنالك فى بحر طبرستان فى القطعة التى
انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفى
الجزء التاسع من هذا الاقليم فى الجانب الغربى منه بلاد
خفشاح من الترك وهم قفجق وبلاد التركش (2) منهم ايضا
جبل قوفايا وفى الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل
قوفايا المحيط وقد مر ذكره يبداء من البحر المحيط فى

(1) Man. A. et B. برغار.

(2) Man. B. et C. التركش.

شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم فى الشمال
 ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل فى الجزء
 التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمتة الاول فى
 الشمال حتى يدخل فى هذا الجزء التاسع من جنوبه الى
 شمال وبانحراف الى المغرب وفى وسطه ههنا السد الذى
 بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة فى الاقليم السابع وفى
 الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلقى البحر
 المحيط فى شماله ثم يعطف معه من هنالك مغربا فى
 الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك
 بقطعة من البحر المحيط فى غربيه وفى وسط هذا الجزء
 التاسع هو السد الذى بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من
 خبره فى القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه فى كتابه
 فى الجغرافيا ان الائق رأى فى منامه كان السد انفتح
 فانتبه فزعا وبعث سلامة الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره
 ووصفه فى حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفى
 الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى
 آخره على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من
 شرقه وشماله مستطيلة فى الشمال وعريضة بعض الشيء فى
 الشرق انتهى

الأقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عاتته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوفيا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثانى مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التى معظمها فى الثانى وفى الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه فى الجزء الثانى من الأقليم السادس وهى مذكورة هنالك والمجاز منها الى البر فى هذه القطعة سعة اثنى عشر ميلا ووراء هذا الجزيرة فى شمال الجزء الثانى جزيرة رسلاندة مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الأقليم مغمور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة فى جنوبه وتتسع فى شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونية التى مر ذكرها فى الثالث من الأقليم السادس وانها فى شماله وفى القطعة من البحر التى تغمر هذا الجزء ثم فى الجانب الغربى منها مستديرة فسيحة ويتصل فى البر من باب فى جنوبها يفضى الى بلاد فلونية (١) وفى شمالها جزيرة براقغة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الأقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط

(١) Man. A. قلوانية. B. فلونية.

من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربه ارض
 فيما زك من الترك وفي شرقها بلاد طبست ثم ارض
 رسلاندة الى آخر الجزء شرقا وهي دايمه الثلوج وعمرانها
 قليل وتتصل ببلاد روسية في الاقليم السادس وفي الجزء
 الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم
 في الناحية الغربية بلاد الروسية وتنتهى في الشمال الى
 قطعة البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوفايا كما ذكرناه
 من قبل وفي الناحية الشرقية منه يتصل ارض القمانيّة على
 قطعة بحر نيطنش في الجزء السادس من الاقليم السادس
 وينتهى الى بحيرة طرمى (1) من هذا الجزء وهي عذبة ويتجلب
 اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي
 شمالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض البنارية من
 الترك الى آخره وفي الجزء السادس في الناحية الغربية
 الجنوبية متصل بلاد القمانيّة وفي وسط الناحية بحيرة
 عيون (2) عذبة يتجلب اليها انهار من الجبال في النواحي
 الشرقية وهي جامدة دائما لشدة البرد الا قليلا في زمن
 المصيف وفي شرقي بلاد القمانيّة بلاد الروسية التي كان
 مبداءها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من
 الجزء الخامس منه وفي الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا

(1) Man. B. طرى D. طرفى.

(2) Man. C. عيون.

الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبداءها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اثل العطفة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوفايا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجناك من اسم الترك وكان مبداءها في الناحية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض بسحرت (1) ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء مشرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوفايا المحيط متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة في شرقها الارض المحفورة وهي من العجايب خرق عظيم في الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره يستدل على عمرانته بالدخان في النهار واليران في الليل تضيء وتخفى وربما رى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب الهتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوفايا متصل من

بِسَحْرَت Lisez سَحْرَى D, سَحْرَت B, سَحْرَت Man. A. (1)

الغرب الى الشرق وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الجانب الغربى منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يحوزها جبل
قوفايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
فى وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج فى
الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمرّ معترضا فيه وفى
وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفى
الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج ورآء جبل قوفايا
على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمره البحر جميعه هذا آخر الكلام على
الجغرافيا واقليمها السبعة وفى خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

المقدمة الثالثة فى المعتدل من الاقليم والمنحرف وتأثير
الهواء فى الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو
وسطه الى الجانب الشمالى لافراط الحر فى الجنوب منه
والبرد فى الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادّين فى البرد والحرّ وجب ان تتدرج الكيفيّة من
كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران

والذى حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنایع والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطه مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنایعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة (1) المنمقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة الآلات والمواعين يذهبون فى ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعىة من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون فى معاملاتهم بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف فى عامّة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقين والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الافرنجة والجلالقة ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال فى جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب

(1) Man, D. المتخذة من الحجارة.

وملابسهم من اوراق الشجر يخصصونها عليهم او الجلود واكثرهم
عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مائلة
الى الانحراف ومعاملاتهم بغير النقيدين الشريفيين من نحاس
او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك
قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من
السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون فى الكهوف والغياض
وياكلون العشب وانهم متوحشون غير مستأنسين وانهم
ياكلون بعضهم بعضا وكذلك الصقالبة والسبب فى ذلك
انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم (1)
من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار
ذلك وكذا احوالهم فى الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة
ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال
وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الداينيين
بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل
مالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الداينيين
بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به بالماية السابعة ومثل
من دان بالنصرانية من امم الصقالبة والافرنجة والترك فى
الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقليم المنحرفة
جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم

(1) احوالهم. Man. C.

وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال
البهائم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود
اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمنية وما اليها
من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة
العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما
ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من
اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحرّ وصار فيها بعض
اعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم
لديه بطبايع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح
اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها فى لونه
وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ولده حام
قد وقع فى التورية وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان
يكون ولده عبيد لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام
غفلة عن طبيعة الحرّ والبرد وانرها فى الهواء وفيما يتكون
فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان
الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما
من الاخرى فتطول المسامتة عامة الفصول ويكثر الضوء
لاجلها ويلج القيط الشديد عليهم فتسود جلودهم لافراط
الحرّ ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلها من الشمال الاقليم

السابع والسادس شمل سكانها ايضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في دائرة مرائى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهى الى الزعورة ويتسبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينها الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذى هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية للنهاية في التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج اهويتهم وتبعه من جانبيه الخامس والثالث وان لم يبلغا نهاية التوسط لميل هذا قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسود والسادس والسابع للبرد والبياض وسمى سكان الجنوب من الاقاليم الاول والثانى باسم الحبشة والزنج والسودان اسماء مترادفة على الامة المتغيرة بالسود وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بين تجاء مكة واليمن والزنج بين تجاء بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود

لاحام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير لاجسادا حتى كسى جلودها سوادا
والصقلب (١) اكثت البياضا حتى فدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغ والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اما متفرقة واجيالا متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة من اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد (٢) لديهم من المعاش والمساكن والصنایع والعلوم والرياسات والهك فكانت فيهم النبوات والملل (٣) والدول

(١) Man. C. et D. اكثت. Man. D. ابيضاصا.

(٢) Man. C. et D. للاعتبار.

(٣) Man. A. et B. الملك.

والشرايع والعلوم والبلدان والامصار واليهانى والغراسمة والصنایع
 الفایقة وسایر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقالیم الذین وقفنا
 علی اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنی اسرائیل
 والیونانیین واهل السند والصین ولما رای النسابون اختلاف
 هذه الامم بسماتها وشعایرها حسبوا ذلك لاجل الانساب
 فجعلوا اهل الجنوب کلهم السودان من ولد حام وارتابوا
 فی الوانهم فتکلفوا نقل تلك الحکایة الواهیة وجعلوا اهل
 الشمال کلهم او اکثرهم من ولد یافث واکثر الامم المعتدلة
 وهم اهل الوسط (1) المنتحلون للعلوم والصنایع والملل والشرايع
 والسیاسة والملک من ولد سام وهذا الزعم وان صادف
 الحق فی انتساب هؤلاء فلیس ذلك بقیاس مطرد انما
 هو اخبار عن الواقع لا ان تسمیة اهل الجنوب بالسودان
 والحباشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما آذاهم
 الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمییز بین الامم انما یقع
 بالانساب (2) فقط ولیس كذلك فان التمییز للجلل او
 للامة یكون بالنسب فی بعضهم كما للعرب وبنی اسرائیل
 والفرس ویكون بالجهة والسمة كما للزنج والحباشان
 والصقالبة والسودان ویكون بالعواید والشعایر مع النسب كما
 للعرب ویكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومییزاتهم

(1) Man. A. واسط.

(2) Man. A. et B. بالانساب.

فتعيم القول فى اهل جهة معينة من جنوب او شمال
بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة
او سمة وجدت لذلك لآب انما هو من الاعاليط التى
اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه
كلها تتبدل فى الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله فى
الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله فى عباده ولن تجد
لسنة الله تبديلا

المقدمة الرابعة فى اثر الهواء فى اخلاق البشر

قد راينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة
الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين
بالحق فى كل قطر والسبب الصحيح فى ذلك انه تقرر
فى موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور هى انتشار
الروح الحيوانى وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهى انقباضه
وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفضية للهواء والبخار مخالطة له
زايدة فى كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور
ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب
من الحرارة الغريزية من التى تبعثها سورة الخمر فى الروح
من مزاجه فيتفشى الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد
المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا فى هوائها واتصلت حرارة

الهواء بارواحهم فتستخت لذلك حدث لهم فرح وربما
انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحرّ على امزجتهم وفي
اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة
ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل
الاقليم الرابع اشدّ حرارة (1) فتكون اكثر تفشياً فتكون
اسرع فرحاً وسروراً واكثر انبساطاً ويجئ الطيش على اثر هذه
وكذلك يالحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية (2) لما كان
هواها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط
البحر واشعته كانت حصّتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد
نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجريدية من الاقليم
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في
الجنوب من الارياض والتلول واعتبر ذلك باهل مصر
فانها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريبا منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم
لا يذخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماأكلهم من
اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوقل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقيين اطراق

(1) Man. C. et D. حرّاً.

(2) Man. A. et B. المنحرفة.

الحزن وكيف افراطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم
ليذخر اقوات سنين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء
قوته ليومه مخافة ان يرزأ شياء من مدخره وتتبع ذلك
في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا من كيفيات
الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن
السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول
تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
ويعقوب بن اسحق الكندي ان ذلك لضعف ادمغتهم
وما نشاء عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له
ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب
والجوع وما ينشاء عن ذلك من الآثار في ابدان البشر
واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد له الخصب
ولا كل ساكنها (1) في رغد من العيش بل فيها ما يوجد
لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه
لركاء المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض

(1) ساكنها. Man. A. et B.

الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب ولادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب الجايلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب ولادم من التلول الا ان ذلك في الاحايين وتحت رقبة من حاميتها وعلى الاقلال لقلة وجددهم فلا يتوصلون منه الا الى سد الخلّة ودونها فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض ويجد مع ذلك هؤلاء الفاقردين للحبوب ولادم من اهل القفار احسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم انقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين واهل التلول يعرف ذلك من خبرة والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديّة ينشأ عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة الاخلات الفاسدة العفنة

ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الادهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة فتجئ البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والمهي والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعى الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضاها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر والبون بينهما ما رايت وما ذلك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاحلاط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فاننا نجد اهل الاقاليم المخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شاعن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هؤلاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذلك اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في

الآدم والبرّ مع الأندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب
عيشهم الذرة فتجد لاهل الأندلس من ذكاء العقل وخفة
الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الصواحي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل
الامصار وان كانوا اكثرين مثلهم من الآدم ومخصبين في
العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف (1)
بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة
مآكلهم لحمان الضائن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الآدم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخفق
ما تؤديه لاجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسوم
اهل الامصار الطف من جسوم اهل البادية المخشنيين في
العيش وكذلك نجد المتعودين للجوع من اهل البادية
فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة واعلم ان
اثر هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة ممن ياخذ نفسه
بالجوع والتجافى عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة
من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في
المدن والامصار لما يعيها من القساوة والغفلة المتصلة
بالاكثار من اللحمان والآدم ولباب البر ويختص وجود

(1) Man. C. التلطف.

العباد والزهاد لذلك بالمتشقين في غذائهم من اهل
البوادي وكذلك نجد حال المدينة الواحدة في ذلك
يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك
نجد هولاء المخصبين العيش المنغمسين في طيباته لا من
اهل البادية ولا من اهل الحاضرة ولا مصار اذا نزلت بهم
السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما
يبلغنا لا مثل العرب اهل الفقر والصحراء ولا مثل اهل بلاد
النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس
الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هولاء وان اخذتهم
السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في
ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب سعاهم وطوية فوق رطوبتها
الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة
بقلة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف
من الغذاء اسرع الى المعاء اليبس والانكماش وهو عضو
ضعيف في الغاية ولهذا عُدّ في المقاتل فيسرع اليه المرض
ويهلك صاحبه بسرعة فالحالكون في المجاعات انما قتلهم

الشبع المعتاد السابق لا الجوع اللاحق وأما المتعودون للعمة وترك الأدم والسمن فلا تزال رطوبتهم الأصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة وهى صالحة على جميع الأغذية الطبيعية فلا يقع فى معاهم تبدّل الأغذية يبس ولا انحراف فيسلمون فى الغالب من الهلاك الذى يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الأدم فى الهائل واصل هذا كله ان تعلم ان الأغذية وإيلافها أو تركها إنما هو بالعادة فهى عود نفسه غذاء ولايه تناوله كان له مألوفاً وصار الخروج عنه والتبدّل به داء ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجملة كالسيوم واليتوع وما افترط فى الانحراف فاما ما وجد فيه التغذى والهلاية فيصير غذاء مألوفاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضاً عن الحنطة والحبوب حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسمع عنهم فى ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب فى ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئاً صار من خلقها وجبّلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الأطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه

لا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فحينئذ ينحسم (1) المعاء ويناله المرض الذى يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك وهذا التدريج ضرورى حتى فى الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدئ فى الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا فى دولة السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء وزدة حسبا انفسهما عن الاكل جملة من سنين (2) وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان مانتا ورائنا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم نديها فى بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاؤه واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا تستكرن ذلك واعلم ان الجوع اصلح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرا فى الاجسام والعقول فى صفائها (3) وصلاحها كما قلنا واعتبر ذلك باثار الاغذية التى تحصل عنها فى الجسم فقد

صفاها. (3) Man. A. et B. سنيتين. (2) Man. A. et B. ينحسم. (1) Man. C. et D.

رأينا المغتذيين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان
تنشاء اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل
الحاضرة وكذا المغتذون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما
يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتفال والقدرة على حمل
الاثقال كما هو للابل وتنشأ معاهم ايضا على نسبة مع الابل
في الصحة والغلظ فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها
من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوسعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل نضجه والدرياس
والفربيون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل
الحضر الرقيقة معاهم بما نشأت عليه من لطيف (1) الاغذية
لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية
ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب الطبوخة في
بعر الابل واتخذ بيضها ثم حصنت عليه جاء الدجاج منها
اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب
بطرح ذلك البعر (2) مع البيض المحض فتجىء
دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا رأينا هذه
الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان المجوع ايضا آثار
في الابدان لان الصديق على نسبة واحدة في التأثير وعدمه

(1) Man. A. et B. لطف.

(2) Man. A. et B. البعض.

فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة
والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في
وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر
بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والروياء

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضّلهم
بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسایل بينه وبين عباده
يعرفونهم بمصالحهم ويحرصون على هدايتهم وياخذون بحجراتهم
عن النار ويدّلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من
المعارف ويظهره على سنتهم من الخوارق الاخبار بوقوع
الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا
من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى
الله عليه وسلم لا واني لا اعلم الا ما علّمني الله واعلم ان
خبرهم في ذلك من خاصته وضرورية الصدق لما يتبين
لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر
ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع
غطيط كأنها غشي او اغماء في رأى العين وليست منهما في
شئ انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني
بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكليّة ثم

يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام
فيتفهّمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من
عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القى
عليه قال صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الوحي احيانا
ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ علىّ فيفصم عني وقد
وعيت ما قال وحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى
ما يقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه
ففى الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت
عائشة كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك
قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة فى تنزل الوحي كان المشركون
يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأى او تابع من الجن
وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم
قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة الهذومات والرجس
اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزّة عن
الهذومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجبلته وفى الصحيح
انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمّه العباس لبناء الكعبة فجعلها
فى ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره
ودعى الى مجمع لوليمة وفيها عرس ولعب فاصابه غشى النوم

الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه الله تعالى عن ذلك بجبلته حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل ولا الثوم ف قيل له في ذلك فقال انى اناجى من لا تناجون وانظر لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بحال الوحي اول ما فجئه وارادت اختباره فقالت له اجعلنى بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذا سأله عن حب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة والبياض من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك (ومن) علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاجا فى امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفى الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال يَم يا مكرم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل واجابه فقال ان يكن ما

يقول حقاً انه نبيٌ وسيلك ما تحت قدميّ هاتين
والعفاف الذى اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلاً على صحّة النبوة
ولم يحتج الى معجزة فدلّ على ان ذلك من علامات
النبوة (ومن) علاماتهم ايضاً ان يكونوا ذوى حسب فى قومهم
وفى الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه وفى
رواية اخرى فى ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين
وفى مسائلة هرقل لابي سفيان كما هو فى الصحيح قال
كيف هو فيكم فقال ابوسفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل
والرسل تبعث فى احساب قومهم ومعناه ان تكون له
عصبية (١) وشوكة تمنعه من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات
ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملته (ومن) علاماتهم ايضاً
وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهى افعال تعجز البشر
عن مثلها فسميت معجزة وليست من جنس مقدور العباد
وانما تقع فى غير محلّ قدرتهم وللناس فى كيفية وقوعها
ودلائنها على تصديق الانبياء خلاف والمتكلمون بناء على
القول بالفاعل المختار قايلون بانها واقعة بقدرة الله تعالى
لا بفعل النبى وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم
الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

(١) Man. D. عصبية.

عند الجميع ألا التحدى بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل
بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فتنزل منزلة
القول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلالتها على
الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدى
ولذلك كان التحدى جزءا منها وعبرة المتكلمين صفة
نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدى هو
الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما الى
التصديق فلا وجود للتحدى الا وجد اتفاقا وان وقع التحدى
فى الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هى على
الولاية وهى غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره
وقوع الخوارق كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدى
بالولاية وقد اربناك المغايرة بينهما وأنه يتحدى لغير ما
يتحدى به النبى فلا لبس على ان النقل عن الاستاذ ليس
صريحا وربما حمل على انكار ان يقع خوارق الانبياء لهم
بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه وأما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
افعال العباد وافعالهم معتادة فلا خارق وأما وقوعها على يد
الكاذب تلبيسا فهو محال أما عند الاشعرية فلان صفة
نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة واقول والتصديق كذبا

واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة فبيح فلا يقع من الله وأما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبى ولو كان فى غير محل القدرة بناء على مذهبهم فى الايجاب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والاسباب الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له فى التكوين والنبى عندهم مجبول على التصريف فى الاكوان متى توجه اليها واستجمع لها بها جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبى كان التحدى او لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبى فى الاكوان الذى هو من خواص النفس النبوية عندهم لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هى عند المتكلمين ولا يكون التحدى جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحر ان النبى مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يتم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر وفى مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبى مخصوصة

كصعود السماء والنفوذ في الأجسام الكثيفة وأحياء الموتى وتكليم
الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الوليّ دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر
عن تصريف الأنبياء ويأتي النبيّ بمثل خوارقه ولا يقدر هو
على مثل خوارق الأنبياء وقد قرّر ذلك المتصوّفة فيما كتبوه
في طريقتهم ونقلوه عن مواجدهم (1) وإذا تقرّر ذلك فاعلم
أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم
المنزل على نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه لأنّ الخوارق في
الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبيّ وتأتي المعجزة
شاهدة به وهذا ظاهر والقرآن هو بنفسه الوحي المدّعى (2) وهو
الخارق المعجز ودلالته في عينه ولا يفتقر إلى دليل أجنبيّ
عنه كسائر الخوارق مع الوحي فهو أوضح دلالة لآلحاد
الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبيّ من الأنبياء إلّا وأوتى من الآيات ما مثله آمن
عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحى إلىّ فانا
أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة يشير إلى أن المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوّة الدلالة وهو كونها
نفس الوحي كان المصدق لها أكثر لوضوحها فكثير المصدق
والمؤمن وهم التابع ولأمة والله سبحانه أعلم ويدلك هذا

(1) Man. D. لقوه عن أخبرهم.

(2) Man. D. المدعى.

كله على انّ القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبينا صلوات الله وسلامه عليه متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فانّ الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم الهتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز فاختصّ الاعجاز بالقرآن وتلقّيهم كتبهم مثلها يتلقّى نبينا المعاني التي يسندها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه ويشهد لتلقيه القرآن متلوا قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وسبب نزولها ما كان يقع له من بدارة الى تدارس الآية خشية من النسيان وحرصا الى حفظ ذلك المتلو المنزل فتكفل الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانّا له لحافظون هذا هو معنى الحفظ الذي اختص به القرآن لا ما ذهب اليه العامة فانه يعزل عن المراد وكثير من الآي يشهد لك بانه نزل قرانا متلوا معجزا بسورة منه ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على دعوته لو انفق ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم فاعلم هذا وتذكره تجده صحيحا كما قررت لك وتامل ما يشهد لك به من ارتفاع

رتبته على الأنبياء وعلو مقامه صلى الله عليه وسلم
 (ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة) على ما شرحه كثير من
 المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرويا ثم شأن العرافين وغير
 ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله وإياك أنا
 نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من
 الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان
 بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضى
 عجايبه في ذلك ولا تنتهى غاياته وابدأ من ذلك
 بالعالم المحسوس الجسماني واولا عالم العناصر المشاهد كيف
 تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار
 متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد ان يستحيل
 الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد
 منها الطف مما قبله الى ان ينتهى الى عالم الافلاك وهى
 الطف من الكل وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على
 هيئة لا يدرك الحسن منها الا الحركات فقط وبها يهتدى
 بعضهم الى معرفة مقاديرها واوزانها وما بعد ذلك من
 وجود الذوات التى لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم
 التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على
 هيئة بدیعة من التدرج آخر افق التعادن متصل باول افق
 النبات مثل الحشائش وما لا برزله وآخر افق النبات مثل

النخل والكرم متّصل باول افق الحيوان كالحلزون والصدف
لم توجد لهما الا قوة اللبس فقط ومعنى الاتصال في هذه
المكونات ان آخر افق منها مستعدّ بالاستعداد القريب لان
يصير اول افق من الذى بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت
انواعه انتهى فى تدريج (1) التكوين الى الانسان صاحب
الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القرودة الذى استجمع فيه
الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان
ذلك فى اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم
انا نجد فى العوالم على اختلافها آثارا متنوعة ففى عالم
الحس آثار من حركة الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين آثار
من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثرا مباينا
للجسام فهو روحانى ومتّصل بالمكونات لوجود اتصال هذه
العوالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة المحركة ولا بدّ
فوقها من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتّصل
بها ايضا وتكون ذواته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم
الملائكة فوجب من ذلك ان يكون النفس استعداد
للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس
الملائكة وقتا من الاوقات وفى لمحة من اللحظات وذلك
بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون

(1) Man. A. et B. تدريج.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khalidoun.

لها اتصال بالافق الذى بعدها شأن الموجودات المترتبة كما
قدّمناه فلها فى الاتصال جهتا العلوّ والسفل هى متصلة
بالبدن من اسفل (1) منها ومكتسبة به المدارك الحسيّة
التي تستعدّ بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من
جهة الاعلا منها بافق الملائكة ومكتسبة منه المدارك العلميّة
والغيبية فان علم الحوادث موجود فى ذواتهم من غير
زمان وهذا على ما قدّمناه من الترتيب المحكم فى الوجود
باتصال ذواته وقوة بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية
غايبة عن العيان وأثارها ظاهرة فى البدن وكأنه وجميع
اجزائه مجتمعة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة
فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة
الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك
مترتبة ومرتقية الى القوة العليا منها وهى المفكرة التي يعبرون
عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهر بآلانه من البصر والسمع
وسايرها ترتقى الى الباطن واوله الحس المشترك وهو قوة
تدرك المحسوسات مبصرة ومسهوة وملموسة وغيرها فى
حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لأن
المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يوديه
الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشئ المحسوس

(1) Man. C. بالذى اسفل.

فى النفس كما هو مجرّدا عن الهوّة الخارجة فقط وآلة هاتين
القوتين فى تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدّمة للاولى
ومؤخّرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الوهيّة والحافظة
فالوهميّة لادراك المعانى المتعلّقة بالشخصيّات كعداوة زيد
وصداقة عمرو ورحمة الاب واقتراس الذئب والحافظة لايداع
الهدرات كلها متخيّلة وغير متخيّلة وهى لها كالخزانة تحفظها
الى وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين فى تصرفهما
البطن المؤخّر من الدماغ اوله للآخرى ومؤخّره للآخرى ثم
يرتقى جميعها الى قوة الفكر وآله البطن الاوسط من الدماغ
وهو القوة التى تقع بها حركة الروية (١) والتوجّه نحو التعقل
تتحرك النفس بها دايميا بما ركب فيها من النزوع الى
ذلك لتخلّص من درك القوة والاستعداد الذى للبشريّة
وتخرج الى الفعل فى تعقلها متشبّهة بالملا الأعلى الروحانيّ
وتصير فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها بغير الآلات
الجسمانيّة فهى متحرّكة دايميا ومتوجّهة نحو ذلك وقد
تنساح بالكلّيّة من البشريّة وروحانيّتها الى الملكيّة من الافق
الأعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجبلة
والفطرة الاولى فى ذلك والنفوس البشريّة فى ذلك على
ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع من الوصول الى الادراك

(١) Man. D. الروية.

الروحاني فيقتنع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من المحافظة الوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية (1) والتصديقية (2) التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في اغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهائها وهذه مدارك الاولياء اهل العلوم الدنيوية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيها وروحانيها الى الملكية من الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهؤلاء هم

(1) Man. B. التصورية.

(2) Man. D. التصريفية.

الانبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوايقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرايزهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف (1) بتلك الوجهة وتشجع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانساحوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الاعلى ما يتلقوه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسماع دوى كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى يلتقى اليه رجلا فيكلمه ويعى ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كله كانه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعها فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميّت وحيا لان الوحي فى اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما

(1) Man. A. et D. تكشف.

حَقَّقُوهُ والثانية وهى حالة تمثّل الملك رجلا يخاطب هى رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذى فسر فيه النبى صلى الله عليه وسلم لها سأله الحرث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي فقال احيانا ياتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشدّ على فيفصم عني وقد وعيت ما قال وحيانا يتمثل لى الهلك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول وانما كانت الاولى اشدّ لانتها مبدأ الخروج فى ذلك الاتّصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرّر الوحي ويكثر التلقّى يسهل ذلك الاتّصال فعند ما يعوج الى المدارك البشرية ياتى على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفى العبارة عن الوحي فى الاول بصيغة الماضى وفى الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهى ان الكلام جاء مجيئ التمثيل لحالتى الوحي فتمثلت الحالة الاولى بالدوى الذى هو فى المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم والوعى يتبعه غبّ انقضايه فناسب عند تصوير انقضايه وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضى الهطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الهلك فى الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعى فناسب العبارة بالمضارع

المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة قد اشار اليها القرآن قال تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً وقالت عايشة كان مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً ولذا كنت ما كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فتحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغطّ الذى عبر به في مبدء الوحي في قوله فغطى حتى بلغ متى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضى الاعتياد فيه بالتدرّج شيئاً فشيئاً الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسورة وآياته حين كان بمكة اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانها انزلت او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين اخر وكذلك كان من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في

الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والهدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (واما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مرّ ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء عليهم السلام بما فطروا عليه من ذلك وتقرّر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة شيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكيّة بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقليّ ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضدّ عن ضده الكامل لانّ عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضدّ للاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذن اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور على ان يتحرّك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبلّة فيكون بها بالجبلّة عند ما يعوقها العجز عن ذلك

تشبث بأمور جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوان وسجع الكلام وما يسبح من طير او حيوان يستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به فى ذلك الانسلاخ الذى يقصده ويكون كالمشييع له وهذه القوة التى فيهم مبداء لذلك الادراك هى الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها فى الجزئيات اكثر من الكليات وتكون متشبهة بها غافلة عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم فى غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذا تاما فى نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عديدة تحضرها المتخيلة وتكون لها كالمراءة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال فى ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشياطين وارفيع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذى فيه السجع والموازنة ليستغل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على ذلك الاتصال الناقص فيبهجس فى قلبه عن تلك الحركة والذى يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم نقصه بامر اجنبى عن ذاته الهدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفرع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه

وتمويلها على السائيلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون
باسم الكهان لأنهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله
عليه وسلم فى مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع
مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين سأله
كاشفا عن حاله بالاختبار كيف ياتيئك هذا الامر فقال
يأتينى صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان
النبوة خاصيتها الصدق فلا يعترىها الكذب بحال لأنها
اتصال من ذات النبىء بالملاء الاعلى من غير مشييع ولا
استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه
الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخلة فى ادراكه
والشئب بالادراك الذى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه
الكذب من هذه الجهة فامتنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان
ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين السجع اخف
من ساير المعينات من المرئيات والمسموعات ويدل خفة
المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن
العجز بعض الشئ (وقد) زعم بعض الناس ان هذه الكهانة
قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين
بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعهم من
خبر السما كما وقع فى القران والكهان انما يتعرفون اخبار
السما من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من

ذلك دليل لأن علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا ممّا سوى ذلك وايضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأن هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرّج عند وجود الشمس لأن النبوة هى النور الأعظم الذى يخفى معه كل نور او يذهب (وقد) زعم بعض الحكماء انّها انما توجد بين يدى النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكى يقتضيه وفى تهام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التى دلّ عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه ناقصه وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا اما متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبىء بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شئ بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكى يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئة الخاصة ولو نقص بعض اجزائها

فلا يقتضى شيئاً إلا أنه يقتضى ذلك الأثر ناقصاً كما قالوه ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبىء ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدّ ممّا للنائم ولا يصدّهم عن ذلك فى التكذيب إلا وسواس الهطامع بأنّها نبوة لهم فيقعون فى الغناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فأنّه كان يطمع بان يكون نبياً وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايهان وانقطعت تلك الامانى آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدى وقارب بن الاسود وكان لهما فى الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (واما الرؤيا) فتحقيقها مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تستجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس فيها علم ما تشوّف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك لاقتباس ضعيفا وغير جليّ عاينته بالمحاكاة والمثال فى الخيال لتحصيله فيحتاج من اجل تلك المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا تستغنى

فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من الخيال
والمثال والسبب في وقوع هذه اللحمة للنفس انها ذات
روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها
تعقلا محضا وبكامل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية
مدركة بغير شئ من الآلات البدنية الا ان نوعها في
الروحانيات دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى الذين لم
يستكملوا ذاتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذى
للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرؤيا (واما) الذى
للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية
المحصنة التى هى اعلا الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم
متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يعوج على المدارك
البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم
شبهنا بيّنا وان كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه
عبر الشارع عن الرويا بانها جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وفي رواية ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد
في جميعها مقصودا بالذات وانما الهراء الكثرة في تفاوت
هذه الهراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهى للتكثير
عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من
ان الوحي كان في مبدئه بالرويا ستة اشهر وهى نصف سنة

ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة وأربعين فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مبع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه أولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطريّ لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عامّا في البشر فمعه عوايق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبليّ لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوّف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعل الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (وامّا) سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيوانيّ الجسمانيّ وهو بخار لطيف مركزة في التجويف الايسر

من القلب على ما فى كتب التشريح لجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطى الحسّ
والحركة وسائر الأفعال البدنيّة ويرتفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده ويتمّ أفعال القوى التى فى بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتفعل بهذا الروح البخارىّ وهى متعلّقة
به بما اقتضته حكمة التكوين فى ان اللطيف لا يؤثّر فى
الكثيف ولها لطف هذا الروح الحيوانى من بين المواد
البدنيّة صار محلاً لأنار الذات الهائية له فى جسمانيّته وهى
النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة فى البدن بوساطته وقد
كنّا قدّمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو
الحواس الخمس وادراك فى الباطن وهو بالقوى الدماغية
وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها
من ذوات الروحانيات التى هى مستعدّة له بالفطرة ولها
كانت الحواس الظاهرة جسمانيّة كانت معرضة للوهن والفسل
بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة
التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجدد الادراك
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيوانى من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحسّ الباطن
ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب
الحرارة الغريزيّة اعماق البدن وتذهب من ظاهرة الى باطنه

فتكون مشيئة مركبها وهو الروح الحيوانى الى الباطن ولذلك ما كان النوم للبشر فى الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصور التى فى الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل (١) صوراً خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم تنزلها الى الحس المشترك الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنة فتدرك بادرأكها الروحاني لانها مفطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التى صارت متعلقة فى ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصورة الهدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة فى القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هى المحتاجة الى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل فى صور الحافظة (٢) قبل ان تدرك من تلك اللوحة ما تدرك هى اضغاث الاحلام وفى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الرويا ثلاث روياء من الله وروياء من الملك وروياء من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية

(١) Man. A. et B. التخييل.

(٢) Man. A. et B. والصور الحافظة.

الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسببها (1) وبشيئها من النوم وهى خواص للنفس الانسانية موجودة فى البشر على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسى فقد رآى فى نومه ما صدق له فى يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة الغيب فى النوم ولا بدّ واذا جاز ذلك فى عالم النوم فلا يمتنع فى غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامّة فى كل حال والله الهادى الى الحق (فصل) ووقوع ما يقع من ذلك للبشر غالبا انها هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانها تكون النفس مستشرفة للشيء فتتّع لها تلك اللوحة فى النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع فى كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء تذكر عند النوم فيكون عنها الرويا فيما يتشوّف (2) اليه ويسمونها الحالومة ذكر منها مسلة فى كتاب الغاية حالومة سماها حالومة الطباع التام وهى ان يقال عند النوم وبعد فراغ السر وصحة التوجّه هذه الكلمات الاعجميّة وهى ثَمَاسُ بَعْدَانِ يَسْوَادٌ وَغَدَّاسٌ نَوَفَنَاسُ وَيَذَكْرُ حَاجَتِهِ فانه يرى الكشف عما يسئل عنه فى النوم

(1) Man. A. et B. يشببها.

(2) Man. A. et B. يشوّف.

وحكى ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في ماله
 وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسئل
 واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لى انا بهذه الاسماء
 وراء عجيبة واطلعت بها على امور كنت تشوف اليها من
 احوالى وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرويا
 يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا فى النفس
 لوقوع الرويا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب لحصول ما
 يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب
 ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد
 غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
 امثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم انا نجد فى النوع
 الانسانى اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة
 فيهم يتميز فيها صنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون فى ذلك
 الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما
 نجد مداركهم فى ذلك بمقتضى فطرتهم التى فطروا عليها
 وذلك مثل العرافين والنظارين فى الاجسام الشفافة كالمرايا
 وطساس الماء والناظرين فى قلوب الحيوان واكبادهما
 وعظامها واهل الزجر فى الطير والسباع واهل الطرق بالحصى
 والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة فى عالم
 الانسان لا يسع احدا جحدها ولا انكارها وكذلك المجانين

تلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لأول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن لان نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس الانسانية كيف تستعدّ لادراك الغيب فى جميع الاصناف التى ذكرناها (وذلك) انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التى يتم بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهى توجد أولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بهيئة البدن وما يعودها بورود مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هى من تلك الادراكات من المعانى الكلية فتتعقل (1) الصورة مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد الصبى فى اول نشوئه لا يقتدر على

(1) Man. A. تشغل. C. تغفل. D. تعقل.

الأدراك الذى لها من ذاتها لا فى نوم ولا يكشف ولا
 بغيرهما وذلك صورتها التى هى عين ذاتها وهى الإدراك
 والتعقل لم تتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا ثبتت
 ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من
 الإدراك إدراك بآلات الجسم توديه اليها المدارك البدنية
 وإدراك بذاتها من غير واسطة وهى محجوبة عنه بالانغماس
 فى البدن والحواس وشواغلها لأن الحواس ابدأ جاذبة لها
 الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الإدراك الجسماني
 وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن
 لحظة أما بالخاصية التى هى للانسان على الاطلاق مثل
 النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
 او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ
 الى الذوات التى فوقها من الملاء الاعلى لها بين افقها
 وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قرناها قبل وتلك
 الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها
 صور الموجودات وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شئ من
 تلك الصورة وتقتبس منها علما وربما دفعت تلك الصور
 المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم تراجع
 الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو
 شرح استعداد النفس لهذا الإدراك الغيبى ولنرجع الى ما

وعدنا به من بيان اصنافه (فأما) الناظرون فى الاجسام
الشفافة من المرايا والطساس والمياه وقلوب الحيوان واكبادها
وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل
الكهان لا انهم اضعف رتبة فيه فى اصل خلقهم لان الكاهن
لا يحتاج فى رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء
يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها
واشرفها البصر فيعكف به على الهرى البسيط حتى يبدو له
مدركه الذى يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه
هو فى سطح المرأة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون
فى سطح المرأة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم
وبين المرأة حجاب كأنه غمام تتمثل فيه صور هى مدركاتهم
فتشير اليهم بالمقصود فيها يتوجهون الى معرفته من نفى
او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه (واما المرأة)
وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال
وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى
ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى
للحس (1) كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين فى
قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين فى الماء والطساس وامثال
ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس بالبحور فقط

(1) Man. A et B. الحسى.

ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر عما أدرك ويزعمون انهم يرون
الصور^{مشخصة} في الهواء تحكى لهم احوال ما يتوجهون
الى ادراكه بالهال والاشارة وغيبة هؤلاء من الحس احق
من الاولين والعالم ابو الغرايب (واما الزجر) وهو ما يحدث
من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سnoch طائر او حيوان
والفكر فيه بعد مغيبه وهى قوة فى النفس تبعث على
الحسد والفكر فيما زجر فيه من مرئ او مسهوع وتكون
قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها فى البحث مستعينا بها
راءه او سمعه فيوديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة
المتخيلة فى النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس
المرئ فى يقظته وتجهجه مع ما عقلته فيكون عنها
الرويا (واما المجانين) فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق
بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف الروح الحيوانى
فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس ولا منغصة
فيها بها شغلها فى نفسها من الم النقص ومرضه وربما زاحها
على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تتشبث به وتضعف
هذه عن ممانعتها فيكون عنه التخبط فاذا اصابه ذلك
التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس فى ذاتها او لما
زاحه من النفوس الشيطانية فى تعلقه غاب عن حسه (1) جملة

(1) Man.D. جسمه.

فادرك لمحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها
 الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير
 ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل
 لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس لا بعد الاستعانة
 بالتصورات الاجنبية كما قرناه ومن ذلك يجي الكذب في
 هذه المدارك (واما العرافون) فهم المتعلقون بهذا الادراك
 وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي
 يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما
 يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون
 بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا) تحصيل
 هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما
 صادف تحقيقا ولا اصابه وبظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا
 عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله
 وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون
 اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك
 غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم
 في الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيح من مازن بن
 غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة

ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما روىا ربيعة بن نصر
وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من
بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا روىا الموبدان
التي اولها سطيح لها بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان منهم في العرب كثير وذكرهم في اشعارهم
فقال

فقلت لعراف اليمامة دارني فانك ان داريتني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني
فقلا شفائك الله والله مالنا بها حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق
الاسدى (ومن) هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس
عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشئ الذي
يتشوق اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع
ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب
الاختيار في الكلام فيتكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان
يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
روسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن

بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا
ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم
فاعلموهم بها يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في
مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دنّ مملؤ بدهن السهم
ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالثين والسجور حتى يذهب
لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤن راسه فيخرج من ذلك
الدهن وحين يجفّ عليه الهواء يجيب عن كل شئ يسأل
عنه من عواقب الامور الخاصّة والعامة وهذا فعل من مناكير
افعال السحرة لكن تفهم منه عجائب العالم الانساني (ومن)
الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبى بالرياضة
فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية
ثم محو آثارها التي تلوّثت (1) بها النفس وذلك يحصل
بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل
الهوت بالبدن ذهب الحسّ وحجابه وأطلعت النفس على
ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل
الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيّبات
(ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية) يرتاضون بذلك ليحصل
لهم الاطلاع على المغيّبات والتصرّف في العالم وأكثر هؤلاء
في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند ويسهون

(1) تلوّثت. Man. G. et D.

هناك الجوكية ولهم كتب فى كيفة هذه الرياضة كثيرة
والاخبار عنهم فى ذلك غريبة (واما المتصوفة) فرياضتهم
دينية وعربية من هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع
الهمة والاقبال على الله بالكلفة لتحصل اذواق العرفان
والتوحيد ويزيدون فى رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فيها تتم وجهتهم فى هذه الرياضة لانه اذا نشأت
النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت
عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة
الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون
مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة
فيه لغير الله وانما هى لقصد التصرف والاطلاع على الغيب
واخسر بها صفقة فانها فى الحقيقة شرك قال بعضهم
من أثر العرفان للعرفان فقد قال بالثانى فهم يقصدون
بوجهتهم العبود لا لشيء سواه وان حصل اثناء ذلك ما
يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا
عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول
ذلك لهم معروف ويستون ما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من
التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بنكير فى حقهم وقد
ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وابو محمد بن

أبى زيد المالكي في آخرين فرارا من التباس المعجزة
بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو
كاف وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن فيكم محدثين وإن منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايح معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر
رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا
على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات وتورط
مع المشركين في معترك وهم بالانهزام وكان بقربه جبل
يتحيز إليه فرفع (1) لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر
بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراى
شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثلها أيضا لأبى بكر
في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شأن ما نحلها (2)
من أوسق التمر من حديقته ثم نهبها على جدادة لتحوزة
عن الورثة فقال في سياق كلامه وإنما هما أخوك واختاك
فقلت إنما هي أسماء فمن الأخرى فقال إن ذا بطن بنت
خارجة أراها جارية فكانت جارية وقع (3) في الهوطا في باب
ما لا يجوف من النحل ومثل هذه الوقايح كثيرة لهم ولمن بعدهم
من الصالحين وأهل الاقتداء إلا أن المتصوفة يقولون أنه يقل

(1) Man. A. B. et D. فوقع.

(3) Man. D. رفع.

(2) Man. C. يحلبها. A. et B. يحلبها.

فى زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حاله بحضرة النبى حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء الى الهدينة النبوية سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله تعالى يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشئ فيطلقون كلامهم فى ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شئ من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فان الله تعالى يخصهم بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذى يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهى علوم ضرورية للانسان يستد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر فى قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود

الحقيقة معدوم العقل التكليفى الذى هو معرفة المعاش ولا استحالة فى ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شئ من التكليف واذا صحّ ذلك فاعلم انه ربّما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويبحثون بالبهائم ولك فى تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهائيل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البله من اول نشوئهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها كثرة تصرفهم فى الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف فى حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب (فصل) وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القايلون بالدلالات النجومية ومقتضى اوضاعها فى الفلك وآثارها فى العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر وبتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب فى شئ انما هى ظنون حدسية وتخمينات مبنية

على التأثير النجومى وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد
الحدس يقف به الناظر على تفصيله فى الشخصيات فى
العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك فى
محلّه ان شاء الله تعالى ولو ثبت فغايتة حدس وتخمين
وليس مما ذكرناه فى شئ (ومن) هؤلاء قوم من العامة
استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها
خط الرمل نسبة الى المادة التى يضعون فيها عملهم ومحصل
هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب
تختلف باختلاف مراتبها فى الزوجية والفردية واستوايها فيها
فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا كلها او
افرادا فشكلا وان كان الفرد فيها فى مرتبة واحدة فقط فاربعة
اشكال وان كان الفرد فى مرتبتين فستة اشكال وان كان
فى ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
ميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شأن
الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا طبيعية بزعمهم وكانها
البروج الاثنى عشر التى للفلك والافلاك الاربعة وجعلوا لكل
شكل بيتا وخطوطا ودلالة على صنف من عالم العناصر
يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فنّ النجامة
ونوع قضايه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات
طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما دلالاتها وضعية وذلك

ان بطليموس انما تكلم في المواليد والقرانات التي هي عنده من آثار الكواكب والاضلاع (١) الفلكية في عالم العناصر وتكلم المنجمون من بعده في المسائل استخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام ذلك البيت النجومية وهي التي ذكرها بطليموس واعلم ان الضماير امور نفسية ليست من عالم العناصر فليست من آثار الكواكب ولا الاوضاع الفلكية ولا دلالة لهما عليها نعم ان صار لفن المسائل مدخل في صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والاضلاع الا انه في غير مدلوله الطبيعي فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والاضلاع استعصا (٢) بالمعانة والارتفاع بالآلات وتعديل الكواكب بالحسبان واستخرجوا هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر بيتا من بيوت الفلك واوتاده ونوعوها الى سعد ونحس وممتزج شأن الكواكب السيارة واقتصروا على الشديس من المناظرة ونزلوا الاحكام النجومية عليها كما في المسائل لان دلالة كل منهما غير طبيعية كما قدمناه وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدن وصنفوا فيها التصانيف المحصلة لقواعدها واصولها كما فعله الزناتى منهم وغيره (وقد) يكون من اهل هذه الصناعة من يتعرض بها لادراك الغيب باشغال

(١) Man. A. et D. اوضاع.

(٢) Man. A. استعصا.

الحسّ بالنظر فى اشكال تلك الخطوط فيعتريه حالة الاستعداد كما يعترى المفطورين على ذلك كما نذكره بعد وهؤلاء اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة فى العالم وربّما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليها شأن الصنایع كلها وربّما يدّعون مشروعيتها ويحتجّون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبى يخطّ فمن وافق خطّه فذاك وليس فى الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعضهم لان معنى الحديث كان نبى يخطّ فيأتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة فى ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فانهم صلوات الله عليهم متفاوتون فى ادراك الوحي قال تعالى تلك الرُّسُل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من يأتيه الوحي ويكلمه الهلك ابتداء من غير طلب والوجهة ولذلك ومنهم من يتوجّه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال أمته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجّه وجهة ربّانية يتعرّض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطى التقسيم هنا قسما اخر ان وجد لان الوحي قد يكون وهو لا يستعدّ له بشئ من الاحوال كالذى ذكرناه وقد يكون وهو مستعدّ ببعض الاحوال كما نقل فى الاسرائيلات ان بعض الانبياء كان يستعدّ لنزول الوحي

بسماع الاصوات الطيبة المألحة وهذا النقل وان لم يكن
 متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فالله تعالى يخص انبياء
 ورسله بما شاء (نسخة) وقد نقل لنا ذلك عن بعض الكبار
 من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغيا يتجرد
 بذلك لهداركة في مقامه دون النبوة وما منا الا له مقام
 معلوم) واذا تقرر ذلك وقد كنا قدّمنا ان في اصحاب خط
 الرمل من يتعرض للكشف به باشغال الحس بالنظر في
 تلك الخطوط والاشكال فيعثر به حينئذ الادراك الغيبى
 الوجدانى (١) بالتفرغ عن الحس جملة ويفارق الهدارك البشرية
 الى المدارك الروحانية وقد مرّ تفسيرهما وهذا من الكهانة
 من نوع النظر فى العظام والهياء والمرايا بخلاف من يقتصر
 فى ذلك منهما على الامر الصناعى الذى يحصل به على
 الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية
 بعد جايلا فى مرامى الظنون فقد يكون شأن بعض الانبياء
 الاستعداد بالخط فى مقامه النبوى لخطاب الملك كما
 يستعدّ به من ليس بنبي للدراك الروحانى ومفارقة
 المدارك البشرية الا ان ادراكه روحانى فقط وادراك النبى
 ملكى بالوحى من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط
 فى مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبياء منها فانهم

(١) Man. B. الوجدان.

لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اى فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبى الذى كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط او تكون الاشارة بذلك الى تعظيمه وعلو شأنه فى اتخاذ خطوط الرمل بل لا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذى كان النبى يستعد به للوحي فيأتى على وفاقه واما اذا اخذ ذلك عن الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه وهذا معنى الحديث والله اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية خط الرمل ولا جواز انتحاله لتعرف الغيب كما هو شأن اهله فى المدن وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل النبى شريعة متبعة فيكون مشروعاً على مذهب من يرى ان شرع من قبلنا شرع لنا وليس هذا بهطابق لذلك فان الشرع انما هو للرسول المشرعين للامم والحديث لم يدل على ذلك وانما دل على ان هذه الاحالة تحصل لبعض الانبياء ويحتمل ان يكون غير مشروع فلا يكون ذلك شرعاً لا خاصاً بأمته ولا عاماً لهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة تقع لبعض الانبياء خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا آخر ما اردنا تحقيقه هنا والله الهلهم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط

سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرّروا ذلك اربع مراتب فتجى ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجا ويضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان او فردا فى مرتبة على الترتيب فتجى اربعة اشكال يضعونها فى سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذى بازائه وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة فى سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع فى كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة فى العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهى كما رايت تحكم وهوى والتحقيق الذى ينبغى ان يكون نصب فكره ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين

PROLÉGOMÈNES
d'Abir Khalidoun.

على الرجوع عن عالم الحسّ الى عالم الروح ولذلك سمي المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخطّ وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصيّة وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها اشغال الحسّ لترجع النفس الى عالم الروحانيات لخطّه فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهذر من القول والعمل والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبى انهم عند توجههم الى تعرف الكائنات يعتر بهم خروج عن حالتهم الطبيعيّة كالتشاوب (1) والتمطط ومبادئ الغيبة عن الحسّ ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات فليس من ادراك الغيب من شئ وانما هو ساع في تنفيق كذبه (فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانيّة ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظنّ والتخمين الذي يحاول عليه

(1) Man. A. التشاوب.

العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالهصيد لاهل العقول
المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع
به الخواص (فمن) تلك القوانين الحساب الذي يسمونه
حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب
لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين
من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدها
بحساب الجمل المصطاح عليه في حروف ابجد من
الواحد الى الالف آحاد وعشرات ومئتين والوفا فاذا حسبت
الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منها تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية
هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان
كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب
الاقل منهما الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا
فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين
فالمطلوب هو الغالب ونقل هنالك بيتين في هذا العمل
اشتهرا بين الناس وهما

ارى الزوج الاقراد يستواقلها واكثرها عند اللخافى غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا

معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالة على الواحد و(ي) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(ش) الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على الاثنين في الآحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي (بكر) ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة (جلش) وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش x بكر x جلش x دمت x هنت x وضخ x زغد x حفظ x طضغ + مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة (ايقش) والاثنان لكلمة (بكر) والثلاثة لكلمة (جلش) وكذلك الى التاسعة التي هي (طضغ)

فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا لكل حرف منه فى اى كلمة من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم يجمعون الاعداد التى ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها ولا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قدّمناه والسر فى هذا القانون بين وذلك ان الباقي فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كلها كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والأتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثماية والثلاثة الاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود فى كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات اوالمئين اوالالوف فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التى فيها وتجتمع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون فيها الطرح

بتسعة مثل ما يفعلون بالآخرى سواء وهى هذه ارب +
يسفك x جزلط x مدوص x هف x تحذن x غش x خع
تضظ x تسع كلمات على توالى العدد وفيها الثلاثى والرابعى
والثنائى وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن
كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب فى هذه المعارف
من النجامة والسيما واسرار الحروف وهو ابو العباس ابن
البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات فى طرح
حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش فالله اعلم
كيف ذلك وهذه كلها مدارك الغيب غير مستندة الى
برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب النيم
غير مغزول الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن
التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك فتصفحه ان كنت
من اهل الرسوخ (ومن) هذه القوانين الصناعيّة لاستخراج
الغيوب فيما يزعمون الزايرجة السماة زايرجة العالم المعزوة
الى ابي العباس السبتي من اعلام المتصوّفة بالمغرب كان
فى آخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من
ملوك الموحدين وهى غريبة العمل صنعية وكثير من الخواص
يولعون بافادة الغيب منها بعلمها المعروف الهاغوز فيحرصون
لذلك على حل رمزه وكشف غامضه لذلك وصورتها
التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة فى داخلها دوائر

متوازية منها للافلاك وللعناصر وللمكونات وللروحانيّات
ولغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة
باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل
قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار على كل وتر حروف
متتابعة موضوعة فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد
عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب لهذا العهد ومنها
برشوم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدواير اسماء
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدواير جدول متكثّر
البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين
بيتاً في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب
خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا
القسم التي عيّنت (1) البيوت العامرة من الخالية وحفافي
الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة
تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك
الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلاء
وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحداث بالمغرب وهو مالك بن وهيب من
علماء اهل اشبيلية كان في الدولة اللهتونية ونص البيت

(1) Man. A. et B. عنت.

سوال عظیم الخلق حزت فصن اذن غریب غرایب شک ضبطه الجهد مثلا
وهو البيت المتداول عندهم فی العمل لاستخراج الجواب
من السؤال فی هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج
الجواب عما یسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال
وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك
ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج
الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة
الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى
آخرة ولأعداد المرسومة بينها ویصیرونها حروفا بحساب
الجميل وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشراتھا الى
الآلین وبالعکس فیها کما یقتضیه قانون العمل عندهم ویضعونها
مع حروف السؤال ویضيفون الى ذلك جميع ما على
الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف
ولأعداد من اوله الى المركز فقط لا یتجاوزونه الى المحيط
ویفعلون بالأعداد ما فعلوه بالاول ویضيفونها الى الحروف
الأخرى ثم یقطعون حروف البيت الذی هو اصل العمل
وقانونه عندهم وهو بیت مالک بن وهیب الیبتقدم الذکر
ویضعونها ناحية ثم یضربون عدد درج الطالع فی اسّ البرج
واسّہ عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عکس ما علیه
الاسّ عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول

المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمونه الأس الأكبر والدور الأصلي ويدخلون بها يجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بها معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف بأعداد معلومة يسمونها الأدوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الأدوار المعينة عندهم لذلك فتخرج آخرها حروف متقطعة وتولف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزايرة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها بتلك الأعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لأنه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وإنما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما وموافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

من السؤال واللاتار (١) والدخول في الجدول بالاعداد
المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج
الحروف من الجدول واطراح اخرى ومعاودة ذلك في
الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على
التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على
تناسب بين هذه الاشياء فتقع له معرفة المجهول منها
فالتناسب بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من
المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل
الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر
وقد مر لك تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله
ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة (٢) العجيبة
والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما فيما
يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا
يكون النظم على وزنه ورويته ويدل عليه انا وجدنا اعمالا
اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت
فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق

(١) Man. A. et B. الاوتاد.

(٢) Man. A. et B. المعايير.

بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال ولاوتار ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم يجيى بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والثفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك ان ينكر ما ليس فى طوقه ادراكه ويكفيها فى رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحس القطعى بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا مزية فيه عند من يباشر ذلك مهن له مزيد ذكاء وحس واذا كان كثير من الهعانة (1) فى العدد الذى هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فما ظنك مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها (فلنذكر) مسألة من الهعانة (2) يتضح لك بها شئ مهم ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التى اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم طيورا بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة فجوابه ان تقول هى تسعة لانك

(1) Man. A. et C. المعايات. B. المعايات. (2) Man. A. et C. المعايات. B. المعايات.

تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان
عدّة اثمان الواحد ثمانية فكانت جمع الثمن من كل درهم
الى الثمن من الآخر فكان كله ثمن طائر فهى ثمانية طيور
عدّة اثمان الواحد وتريد على الثمانية طائرا اخر وهو المشتري
بالفلوس الهاخوذة اولا وعلى سعرة اشترت بالدراهم فتكون
تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسرّ
التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي
اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى
لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى
يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو فى الوقائع
الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم
نعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عنه فهو غيب
لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة فى
هذه الزايرة كلها انما هى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ
السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من
تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسرّ ذلك انما هو
من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف
ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
القوانين والجواب يدل فى مقام اخر من حيث وضوع
الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفى السؤال من نفى او

اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة
الكلام لها في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه
الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله
يعلم وانتم لا تعلمون

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوى
والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال
وفيه اصول وتمهيدات

فصل في ان احيال البدو والحضر طبيعيتهم

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف
نحلتهن من المعاش فان اجتباعهم انما هو للتعاون (1) على
تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاحي
والكفالي فمنهم من ينتحل الفلاح من الغراسة والزراعة ومنهم
من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز
والنحل والدود للقر لتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القايهون
على الفلاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه
متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح

(1) التعاون Man C. et D.

للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفئ إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتائق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحصن ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجئ عوايد الترف البالغة مبالغها في التائق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالات البيوت والصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتها في الصنایع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صروحها وتنجيدها ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمهنتهم من لبوس او فراش او آية او ماعون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنایع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما و ارفه من اهل البدو لان

أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد
تبين أن أحوال البدو والحضر طبيعىة لا بد منها كما قلناه

فصل فى أن جيل العرب فى الخليقة طبيعى

قد قدّمنا فى الفصل قبله أن أهل البدو هم المنتحلون
للمعاش الطبيعى من الفلاح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون
على الضرورى فى الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال
والعوايد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجى أو كمالى
فيستخذون البيوت من الشعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين
والحجارة غير منجدة إنما هو قصد الاستظلال والكنّ لا ما وراءه
وقد يأوون إلى الغيران والكهوف وأما اقواتهم فيتناولونها
بسيير العلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار فمن كان
معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفلاح كان المقام به أولى
من الطعن وهؤلاء سكان الهُدائر والقرى والجبال وهم عامّة
البربر والأعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل البقر والغنم
فهم ظواعن فى الأغلب لارتياح المسارح والمياه لحيوانهم إذ
التقلب فى الأرض أصحّ بها ويسمون شاوية ومعناه
القايهون على الشاء والبقر ولا يبعدون فى
القفور لفقدان المسارح الطيبة به وهؤلاء مثل البربر والترك
وأخوانهم من التركمان والصقالبة (وأما) من كان معاشهم

فى الابل فهم اكثر طعنا وابعد فى القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى به الابل فى قوام حياتها عن مرعى الشجر فى القفر وورود مياهه المالحة والتقلب فصل الشتاء فى نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه وطلباً لمفاحص النتاج فى رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصلا ومخاضا واحوجها فى ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما ذادتهم الحامية عن التلول ايضا فاوغلوا فى القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعداوتهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفتوس من الحيوانات العجم وهؤلاء هم العرب وفى معانهم طواعن البربر وزناطة بالمغرب والاكرد والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعى لا بد منه فى العمران والله الخلاق العليم

فصل فى ان البدو اقدم من الحضار وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار ومدد لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضرورى فى احوالهم

العاجزين عمّا فوقه وإن الحضر المعتنون بحاجات الشرف والكمال فى احوالهم وعوايدهم ولا شكّ أن الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه وكان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشئ عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لأنّ اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الترف والكمال الا اذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البداوة قبل رفه الحضارة ولهذا نجد التمدّن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه (1) منها ومتى حصل على الرياش الذى تحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه من قياد المدينة وهكذا شأن اهل القبائل المبتدية كلهم والحضرى لا يتشوّف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته (ومما) يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدّم عليه أنا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اوليّة اكثرهم من اهل البدو الذين بصاحبة ذلك المصر وفى قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضر وذلك يدلّ على ان احوال الحضارة ثانية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربّ حى اعظم من حى

(1) Man. C. مقترحة.

وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر
عمرانا من مدينة وقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار واصل لها كما ان وجود المدن والامصار
من عوايد الترف والدعة الذى هو متأخر عن عوايد الضرورة
المعاشية

فصل فى ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيبة
لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
ينصرانه او يمجسانه وبقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين
تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته بعد عن
الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا
عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف
والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم
طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى
لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة فى احوالهم فنجد الكثير
منهم يقذعون فى اقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين

كبرائهم واهل محارمهم لا يصدّهم عنه وازع الحشمة لما
 اخذتهم به عوايد السوء في التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً
 واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في
 المقدار الضروري لا في الترف ولا في شئ من اسباب
 الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم في معاملاتهم على
 نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات
 الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى
 الفطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الهلكات
 بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج
 الحضر وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية
 العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير
 فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر
 والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في
 حديث البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع
 وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على
 عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول
 الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
 حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره
 ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان

اهل مكة يمسّهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في
الظهارة والحراسة ما لا يمسّ غيرهم من بادية الاعراب وقد
كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرّب وهو سكنى
البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص عند مرضه
بمكة اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردّهم على اعقابهم
ومعناه ان يوفّقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا
عن هجرتهم التى ابتدوا بها وهو من باب الرجوع على
العقب فى السعى الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك
كان خاصّا بما قبل الفتح وحين كثر المسلمون واعتزّوا
وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة
حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قيل
سقط انشاؤها عمّن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عمّن
اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة
ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ فى آفاق وانتشروا
ولم يبق الا فضل السكنى فى المدينة وهو هجرة فقول
الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبك
تعربت نعى عليه فى ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء
المأثور الذى قدّمناه وهو قوله ولا تردّهم على اعقابهم وبقوله
تعربت الى انه صار من العرب الذين لا يهاجرون واجاب

سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعى عليه ترك السكى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل فما اثره به واختصه الا لمعنى عليه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذى عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس فى النعى على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل فى ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر

والسبب فى ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على سهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف واكلوا امرهم فى المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذى يسوسهم والحامية التى تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم لا تهيجهم هيجة ولا ينفر لهم صيد غارون آمنون قد القوا السلاح وربيت على ذلك منهم اجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على ابي مئواهم حتى صار ذلك خلقا لهم
يتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم
في الضواحي وبعدهم عن الحماية وانتباذهم عن الاسوار
والابواب قايهون بالمداغة عن انفسهم لا يكونونها الى سواهم
ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلقون (1)
عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الا غرارا
في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب يتوجسون للنبأة
والهيئات (2) وينفردون في القفر والبيداء مدلين بباسهم واثقين
بانفسهم قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون
اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ واهل الحضر مهيا
خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون
معهم شئ من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في
معرفة النواحي والجهات وموارد الماء ومشارع السبل وسبب
ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوايدة ومالوفه
لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي الفه من الاحوال حتى صار له
خلقاً وملكة وعادة تنزل (3) منزلة الطبيعة والجبلّة واعتبر ذلك
في الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو
الخالق العليم

(1) Man. D. يلتقون.

(2) Man. D. الصعاب.

(3) Man. C. تنزل.

فصل فى ان معاناة اهل الحضر لاحكام مفسدة للبأس فيهم
ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء
المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان
يكون للانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة
وعادلة لايعانا منها حكم ولا منع وصدد كان من تحت يدها
مدلين بما فى انفسهم من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع
حتى صار لهم الادلال جبلة لهم لا يعرفون سواها واما اذا كانت
الملكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم
وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل فى النفوس المضطهدة
كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضى الله عنهما عن مثلها
لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم
القادسية فقتله واخذ سلبه فانترعه منه سعد وقال هلا (1) انتظرت
فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر
تعيد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك
ما بقى من حربك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر
سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية
لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة

(1) Man. A. B. et C. الا.

التي تكسر من سورة بأسه بلا شك وأما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت في ذلك بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بآسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد بأسا ممن تاخذه الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدافعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المتحليين للقراءة والاخذ عن المشايخ ولائمة الممارسين للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فتفهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والباس ولا تستنكرون (1) ذلك بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعه فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي إنما هي احكام الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون انفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تخدشها اظفار التأديب والحكم

(1) Man.A. et D. يستنكرون. B. يستنكرون.

قال عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع ولا أدبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه وبقينا بان الشارع اعلم به صالح العباد (ولها) تناقص الدين فى الناس واخذوا بالاحكام الوازنة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما يؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم وخضد (1) الشوكة منهم بمعاناتها فى وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال ابو محمد بن ابي زيد فى كتابه احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان فى التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضى واحتج له بعضهم بما وقع فى حديث بدء الوحي من شأن الغط وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

(1) Man. B. حصد. C. خصل. D. حصد.

فصل فى ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب فى طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناها للنجدين وقال تعالى فآلهمها فجورها وتقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل فى مرعى عوايده ولم يهذب به لاقتداء بالدين وعلى ذلك الجرم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الى ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلته لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدى من تحتهم من الكافة ان يهتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذى من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه ذيادة الحامية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة (واما) احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بها وقر فى نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حلهم فاما يزود عنها من خارج حامية الحق من انجادهم وفتيانهم

المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم إلا إذا كانوا عصبيةً وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم) إذ نعمة كل أحد على نسبه وعصبية أهـ وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوى أرحامهم وقرباهم موجود في الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن أخوة يوسف حين قالوا لأبيه لئن أكله الذئب ونحن عصابة أنا إذا لخاسرون والمعنى أنه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبية له وأما المنفردون في انسابهم فقل أن يصيب أحدا منهم نعمة على صاحبه فإذا أظلم الجوّ بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغى النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقتدرون من أجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الأمم سواهم وإذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج إلى المدافعة والحماية فبمثلها يتبين لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة إذ بلوغ الغرض من ذلك كله إنما يتم بالقتال عليه لما في طباع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه أنفاً فاتخذها إماماً تقتدى به فيما نورد عليك من بعد والله الموفق

فصل فى ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او
ما فى معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعى فى البشر الا فى الاقل
ومن صلتها النعرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم
ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد فى نفسه غضاضة
من ظلم قريبه او العدا عليه ويود لو يحول بينه وبين ما
يصله من المعاطب والمهالك نزعاً طبيعىة فى البشر
مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريباً
جداً بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة
فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض
الشئ فربما تنوسى بعضها وتبقى منه شهرة فتحمل على
النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فراراً من الغضاضة
التي يتوهمها فى نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه
(ومن) هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل
ولايه وحلفه للانفة التي تلتحق النفس من اهتمام جازها او
قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل
الحمية الحاصلة من الولاء مثل لحمية النسب او قريباً منها
ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايده

هذا الالتحام الذى يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة
والنصرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمى
لا حقيقة له ونفعه له انما هو فى هذه الوصلة والالتحام
فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة
كما قلناه واذا كان انما استفاد من الخبر البعيد ضعف فيه
الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن احوال اللهو
المنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع
وجاهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار
من قبيل العلوم ذهبت فايده الوهم فيه عن النفس وانتفت
النعمة التى تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه والله
تعالى اعلم

فصل فى ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحيشين
فى القفر من العرب ومن فى معانهم

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشطط الاحوال
وسوء الموطن حملتهم عليها الضرورة التى عيّنت لهم تلك
القسمة وهى بما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش فى القفر لرعيها من
شجرة ونتاجها فى رماله كما تقدم والقفر مكان الشطط
والسغب فصار لهم إفا وعادة ورييت فيها اجيالهم حتى

تمكنت خلقا وجيلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم
 في حالهم ولا يأنس بهم احد من الاجيال بل لو وجد
 واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما
 تركه فيومن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها
 ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من
 قریش وكنانة وثقيف وبنی اسد وهذيل ومن جاورهم من
 خزاعة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع
 وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب
 كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط
 ولا عرف فيها شوب (واما) العرب الذين كانوا في التلول في
 معادن الخصب للمراعى والعيش من حمير وكهلان مثل
 لحم وجدام وغسان وطى وقضاعة واياها فاختلطت انسابهم
 وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف
 عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم
 ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم
 وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب
 ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من
 قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياض من
 الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى الخصبة فكثر
 الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام

الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند
العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب
امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى
عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون
بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم
وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من
العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودرت فدرت
العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث
الارض ومن عليها

فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل
نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قومه
بجناية اصابها فيدعى بنسب هؤلاء وبعد منهم في ثمراته
من النعمة والقود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت
ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء او من
هؤلاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم
انه قد يتناسا النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم
به فيخفى على الاكثر فما زالت الانساب تسقط من شعب
الى شعب وبلتحم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب

والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المنذر وغيرهم تتبين شيئاً من ذلك (ومنه) شأن بجيلة في عرفة بن هزيمة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيوف اى دخيل ولصيق وطلبوا ان يولى عليهم جريراً فسأله عمر عن ذلك فقال عرفة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصببت دماً في قومي ولحققت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايعه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجملة وعدّ منهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سرّ الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

فصل فى ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون
فى غير نسبهم

وذلك انّ الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدّمناه فلا بدّ فى الرئاسة على القوم ان تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لانّ كل عصبية منهم اذا احست بغلبة عصبية الرئيس لهم اقرّوا بالاذعان والاتباع والساقط فى نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية بالنسب انما هو ملصق نزيوف وغاية التعصب له

بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وإن فرضنا أنه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الأول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام أو لاحد من سلفه والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة فى منبت واحد يعين له الغلب بالعصبية فالاولية التى كانت لهذا المصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حينئذ فكيف تنقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرئاسة لا بد وأن تكون مورثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية (وقد) يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصايب (1) الى انساب يلحقون (2) بها أما لخصوصية فضيلة كانت فى اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى فى شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح فى رياستهم والطعن فى شرفهم وهذا كثير للناس فى هذا العهد (ومن ذلك) ما تدعيه زائدة جملة انهم من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى عامر احدى شعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم لحق جدّهم ببنى عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط

(1) Man. A. et B. العصبيات.

(2) Man. A. et B. يلمحون. C. يلمحون.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونهم الحجازي (ومن) ذلك ادعاء بنى عبد القوى بن العباس من توجين انهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابي عبد القوى ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباسي الى احد من شيعة العلويين (وكذلك) ما يدعيه ابناء زيان ملوك بنى عبد الواد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتى ايت القاسم اى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الدوران في الادارسة فتوهموا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد (فلقد) بلغنى عن يخراس بن زيان موئل سلطانهم

انه لها قيل له ذلك نكرة وقال بلغته الزنايئة ما معناه اما الدنيا والملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في الآخرة فمردود الى الله واعرض عن المتقرب اليه بذلك (ومن) هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بنى يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بنى يذكثن من توجين انهم من سليم وكذا الذواودة شيوخ رياح انهم من اعقاب البرامكة وكذلك بنو مهنا امراء طى بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم فى قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل يعين ان يكونوا من صريح ذلك النسب واكوى عصباته فاعتبره واجتنب المغالطة فيه ولا يجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة فى هرغة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتهاه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة فى دعوته وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

فصل فى ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل
العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى

PROLÉGOMENES
d'Ebn-Khalidoun.

البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليه تجلّة في اهل جلدته لسا وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشوئهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الاسلام اذا فسقوها فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بيّنا ان ثمرة الانساب وفايدتها انما هي العصبية للنصرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها ذكى محمى تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف من الالباء زايدا في فايدتها فيكون الحسب والشرف اصيلا في اهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرّها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموه فزحرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعدّ سلفا في خلال الخير ومخالطة اهله مع الركون على العافية ما استطاع وهذا مغاير لسرّ العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الالباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز بعلاقة ما فيه من تعدد الالباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق (وقد) يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم

ينسأخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى فى نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدّون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها فى شىء لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين فى بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما رسخ الوسواس لذلك لبنى اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولا لما تعدّد فى سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية ثانيا وما اتاهم الله به من الملك الذى وعدهم به ثم انسأخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء فى الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر آلافا من السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون هذا هرونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذلّ فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين فى انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان (وقد غلط ابو الوليد ابن رشد فى هذا لى ذكر الحسب فى كتاب الخطابة من تالخيص كتب العلم الاول فقال والحسب هو ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرّض لىما

PROLÉGOMÈNES
d'Elmi-Khalidoun.

ذكرناه وليت شعري ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم عصابة يهرب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من تؤثر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد رى فى جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقى فى امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها فى الخليفة والله بكل شئ عليم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدّمنا الآن ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بسهم فى تلك العصبية ولبسوا جلدتها كانتها عصبيتهم وحصل لهم من

الانتظام فى العصبية مساهمة فى نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقى او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته نافع له فى تلك العصبية اذ هى مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها (1) فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء فى هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته فى ولايته واصطناعه لا يتجاوز الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الهوى فى الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ فى ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء فى ولايتها لا ترى الى موالى الترك فى دولة بنى العباس والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا المعبد والاصالة بالرسوخ فى ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب فى الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ فى ولايتها والاصالة فى اصطناعها ويصحح نسبة الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به فى اصلته

(1) Man. A. et B. عصبيتها.

ومجده وأنما المعتبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سرّ العصبيّة التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقّا من شرف مواليه وبيته من بنائهم (1) فلم ينفعه نسب الولادة وأنما بناء مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبيّة ودولة فاذا ذهبت وصار ولاه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب عصبيّته وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاه بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وان كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه واكرمكم الله اتقاكم

فصل في ان الحسب في العقب الواحد اربعة آباء

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كايين فاسد لا من ذواته ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات للانسان وغيره كايينة فاسدة بالمعاينة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانيّة فالعلوم تنشأ ثم

(1) Man. A. et B. بيانهم.

تدرس وكذلك الصنایع وامثالها والحسب من العوارض
التي تعرض للادميين فهو كايں فاسد لا محالة وليس يوجد
لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آبايه من لدن
آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
كرامة به وحياطة على الشرفية (١) واول كل شرف خارجية كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الصعة والابتذال
وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق
عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء من
عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنيائه
ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقاياه وابنه من
بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذ به عنه الا انه
مقتصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعاین ثم اذا
جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر
عن طريقته جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم
واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر واجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم
وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس
ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب

(١) Man. A. B. C. السرفية.

فقط فيرباء بنفسه عن اهل العصبية ويرى الفضل عليهم
وثوقا بما ربي فيه عن استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك
الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم ولاخذ بمجامع
قلوبهم فيحنقهم لذلك فينتقصون (1) عليه ويحتقرونه
ويديلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في
غير ذلك العقب للاذعان بعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق
بما يرضونه من خلاله فتندو فروع هذا وتندوى فروع الاول
وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا
انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب
ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز (واشتراط) الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب
والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى وينهدم وقد
يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط
وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر
له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في
نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه
وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ في المجد وفي

(1) Man. B. ينتقصون. D. ينتقصون.

التورية ما معناه انا الله ربك طابق غيور مطالب بذنوب
الآباء للبنين على الثوالت وعلى الروابع وهو يدل على ان
الاربعة الاعقاب غاية فى الانساب والحسب (ومن) كتاب
الاغاني فى اخبار عوفى القوافى ان كسرى قال للنعمان هل
فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شئ
قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه روساء ثم اتصل ذلك
بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده
الا فى آل حذيفة بن بدر الفزارى وهم بيت قيس وآل
حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت
شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة فجمع هؤلاء الرهط
ومن تبعهم من عشائيرهم واقعد لهم الحكّام العدول فقام
حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرايته من النعمان ثم
بسطام ابن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس
بن عاصم وخطبوا ونشروا فقال كسرى كلهم سيّد يصلح
لموضعه وكانت هذه البيوتات هى المذكورة بالشرف فى
العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الديان من بنى
الحرث بن كعب بيت اليمن وهذا كله يدل على ان
الاربعة آبا نهاية فى الحسب والله اعلم

فصل فى ان الاسم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا فى الشجاعة كما قلناه فى المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما فى ايدي سواهم من الاسم بل الجيل الواحد تختلف احواله فى ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياض وتبنكوا النعيم والفوا عوايد الخصب فى المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداتهم واعتبر ذلك فى الحيوانات العجم فى دواجن الطباء والبقر الوحشية والحمير اذا زال توحشها بمخالطة الادميين وانصب عيشها كيف يختلف حالها فى الانتهاض والشدة حتى فى مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس والى وسببه ان تكون السجايا والطبايع انما هو عن المألوفات والعوايد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق فى البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا فى العدد وتكافا فى القوة والعصاة وانظر فى ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكمهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة الموطنين ارياف العراق ونعيمه لها بقى مضر فى بداوتهم وتقدمهم الآخرون الى

خصب العيش وعضارة النعيم كيف ارففت البداوة حدّهم في التغلب فغابوهم على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال بنى طى وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تآخروا في باديتهم عن ساير قبايل مضر واليمن ولم يلتبسوا (١) بشيء من دنياهم كيف اسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الشرف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حى من العرب يلى نعيما وعيشا خصبا دون الحى الاخر فان الحى المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافا في القوة والعدد ستة الله في خلقه

=> فصل في ان الغاية التى تجرى اليها العصبية هي الملك

وذلك لاننا قدّمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدّمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتهاع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة اتما هي سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر فى احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع

(١) Man. C. et D. يكتسبوا.

ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التى يكون بها متبوعا فالتغلب الملكى غاية العصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصبح كأنها عصبية واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفصلى (1) الى الاختلاف والتنازع ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ثم) اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافانها او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها شان القبائل والامم المفترقة فى العالم وان غلبتها او استتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها قوة فى التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى واجد وهكذا دائما حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة فى هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل

(1) Man. A. et B. المقتضى.

العصبيّات انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما
يعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد
وهو كما وقع للترك في دولة بنى العباس ولصنهاجة وزناتة
مع كتامة ولبنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية
والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبيّة وانها اذا
بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد
او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
وان عاقها عن بلوغ الغاية عوايق كما نبينه وقفت في
مكانها الى ان يقضى الله بامرّه

فصل في ان من عوايق الملك حصول الترف وانغماس
القبيل في السنعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيّتها بعض الغلب
استولت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب
في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة
بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من
القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها
فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوّغون من
نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شيء
من منازع الملك ولا اسبابه انما همهم النعيم والكسب وخصب

العيش والسكون فى ظل الدولة الى الدعة والراحة ولاخذ
بمذاهب الملك فى المباني والملابس الاستكثار من ذلك
والثائق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو
اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية
والبسالة ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسط وينشأ بنوهم
واعقابهم فى مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم
وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن ساير الامور الضرورية فى
العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم
وبسالتهم فى الاجيال بعدهم يتعاقبها الى ان تنقرض العصبية
فيتأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم
على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق فى
النعيم كاسر من سورة العصبية التى بها التغلب واذا انقرضت
العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والشتمتهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوايق
الملك والله يؤتى ملكه من يشاء

فصل فى ان من عوايق الملك حصول المذلة للقبيل
والانقياد لسواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية
وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رؤوا

للمدّة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة
فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك
في بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك
الشام واخبرهم ان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا
عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من قدرته
غير عصبيتنا ويكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم
عليهم ليجوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك
فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن
المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما يؤثر في تفسيرها
وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رثموا من الذل
للقبط احقبا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم
يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم
وان العمالة الذين كانوا باريجا فريستهم بحكم من الله قدره
لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم
من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من الهذلة وطعنوا فيما
اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه
وهو انهم اقاموا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر
اربعين سنة لم ياءوا فيها لعمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القرآن
لغلظة العمالة بالشام والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن

مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآيه ومفهومها ان
حكمة ذلك التيه مقصودة وهى فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والغوه وتخلّقوا به وافسد من عصبيتهم
حتى نشاء فى ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام
والقهر ولا يسام بالمدلة فنشاءت لهم بذلك عصبية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك
ان الاربعين سنة اقل ما يتأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل
اخر سبحانه الحكيم العليم وفى هذا اوضح دليل على شأن
العصبية وانها التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية
والمطالبة وان من فقدوها عجز عن جميع ذلك

ويلتحق بهذا الفصل فيما يوجب المدلة للقبيل شأن المغارم
والضرايب

فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمدلة
فيه لان فى المغارم والضرايب ضيما ومدلة لا تحتملها النفوس
الابية الا اذا استهونته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ
ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبته لا تدفع
عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له
الانقياد للذل والمدلة عايقة كما قدّمناه ومنه فى الصحيح
قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحرث لما رأى سكة

المحراث في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم لا دخلهم الذلّ فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذلّ هذا الى ما يصحب ذلّ المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيد من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان الرجل حدث فكذب ووعد فأخلف (فاذا) رايت القبيل بالمغارم في ربة من الذلّ فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناتة بالمغرب كانوا شاوية يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استثبت (1) لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا مقالة شهربراز (2) ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لها اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصفوى معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيئنا اليكم النصر لكم والقيام بها تحبون ولا تذلوننا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

(1) Man. C. استثبت. D. استنبت.

(2) Man. C. شهربراز. D. سهرنزار.

فصل فى ان من علامات الملك التنافس فى الخلال الحميدة وبالعكس

لها كان الملك طبيعياً للانسان لها فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان البشرانها جاءه من قبل القوى الحيوانية التى فيه واما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه وهى التى تناسب السياسة والملك اذ الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل ينبى عليه وتحقق به حقيقته وهو العصبية والعشير وفرع يتم وجوده ويكمله وهو خلال واذا كان الملك غاية العصبية فهو غاية لفروعها ومتمماتها وهى خلال لان وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عربانا بين الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير احتمال خلال الحميدة نقصا فى اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل الملك الذى هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هو كفالة للخلق وخلافة لله فى العباد فى الاحكام واحكام الله فى خلقه وعباده انما هى بالخير

ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدره سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واوضح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا الى اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على الهكارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدر

والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات والمراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتجال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاض الى ان يخرج الملك من بين ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيًا عليهم في سلب ما كان الله قد اتاهم من الهلك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك وتتبعه في الامم السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال الكمال الذي تتنافس فيه القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلما والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبية والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاذبهم جبل العشير

والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الأكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم الكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء مهن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايه واکرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كما في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للحاجة اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجارة للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغرباء من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتماؤهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تاذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له

فصل في انه اذا كانت الامّة وحشيّة كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد
الطوايف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولائهم يتنزلون من
الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب
وزناتة ومن في معانهم من الاكراد والتركمان واهل الشام من
صنهاجة وايضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه
ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على
السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاوره من
البلاد ولا يقفون عند حدود افقهم بل يطفرون (١) الى الاقاليم
البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في
ذلك عن عمر رضى الله عنه لما بويج وقام يحرض الناس
على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة
ولا يقوى عليه اهله الا بذلك اين الطراء المهاجرون عن موعد
الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان
يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة
وحمير كيف كانوا يخطون فيها نقل من اليمن الى المغرب
مرة وإلى الهند والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب

(١) Man. A. et B. يطفرون. D. يطفرون.

من الامم وكذا حال الهلثمين بالمغرب لما نزعوا الى الملك
ظفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه فى جوار السودان الى
الاقليم الرابع والخامس فى ممالك الاندلس من غير واسطة
وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع
نطاقا وابتعد من مراكزها نهاية والله مقدر الليل والنهار

فصل فى ان الهلك اذا ذهب عن بعض الشعوب من
امّة فلا بدّ من عوده الى شعب آخر منها ما دامت
لهم العصبية

والسبب فى ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة
الغلب والاذعان لهم من ساير الامم سواهم فيتعيّن منهم
الهابشرون للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك
لجميعهم لها هم عليه من الكثرة التى يضيق عنها نطاق
الهزاحة وللغيرة التى تجدد انوف كثير من المتطاولين للرتبة
فاذا تعيّن اولئك القايمون بالدولة انغمسوا فى النعيم وغرقوا
فى بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم فى وجوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين
بعدوا عن الامر وكبجوا عن المشاركة فى ظل من عز الدولة
التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف
واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام واباد غضراهم الهرم

وطحنهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارفى من
النعيم من حدهم واشتفت غريزة (I) الترف من مأثمهم وبلغوا
غايتهم من طبيعة التمدن الانسانى والتغلب السياسى
كدود القز ينسج ثم يفنى بمرکز نسجه فى الانعكاس

وكانت حينئذ عصبية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر
محفوظة وشارتهم فى الغلب معلومة فتسمو آمالهم الى الملك
الذى كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم
وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر
وبصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقى ايضا منتبذا عنه
من عشائير امثهم فلا يزال الملك ماجا فى الامة الى ان
تنكسر سورة العصبية منها او تفنى ساير عشائيرها سنة الله
فى الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما
وقع فى الامم لها انقرض ملك عاد قام من بعدهم اخوانهم
من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العماقة ومن بعدهم اخوانهم
من حمير ومن بعدهم اخوانهم التباغة من حمير ايضا ومن
بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا الفرس
انقرض امر الكينية فهلك من بعدهم الساسانية حتى
تاذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب

(1) Man. B. عزيزة. C. عريزة. it. D.

لما انقرض امر مغراوة وكتامة الهلوك الاول منهم رجع الى
صنهاجة ثم الملميين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقى
من شعوب زناتة وهكذا سنة الله فى عباده وخلقه واصل
هذا كله انما يكون بالعصبية وهى متفاوتة فى الاجيال
والملك يخلقه الترف ويذهبه كما سنذكره بعد فاذا انقرضت
دولة فانها يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم
التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع
العصبيات وذلك انما يوجد فى النسب القريب منهم
لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب
التي هى فيه او بعد حتى اذا وقع فى العالم تبديل كبير
من تحويل ملّة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته
فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذى تآذن
الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمصر حين غلبوا على
الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا
مكبوحين عنه احقابا

فصل فى ان المغلوب مولع ابدا بالافتداء بالغالب فى شعاره
وزيّته ونحلته وسائر احواله وعوايده

والسبب فى ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها
وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بها وقرعنها من تعظيمه

او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعى انها هو
لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادا
فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاقتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس
بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلته من العوايد والهذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك
ترى المغلوب يشبهه ابدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه
فى اتخاذها واشكالها بل وفى ساير احواله وانظر ذلك
فى الابناء مع اباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايما وما
ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
كيف يغلب على اهله زى الحامية وجند السلطان فى
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امّة تجاور
اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا الشبه
والاقتداء حظ كبير كما هو فى الاندلس لهذا العهد مع امم
الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم
والكثير من عوايدهم واحوالهم حتى فى رسم التماثيل فى
الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك
الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلاء والامر لله وتامل فى
هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من باب اذ الهلك
غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه

اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بوعلمهم والله العليم الحكيم

PROLOGUES
d'Ibn-Khaldoun.

فصل فى ان الامة اذا غلبت وصارت فى ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء

والسبب فيه والله اعلم ما يحصل فى النفوس من التكاسل
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقصر الامل ويضعف والتناسل والاعتماد انما هو من
حدة الامل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص
عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيمهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين
لكل متغلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم
من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سر اخر وهو ان
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى جعل له
والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزة تكاسل
حتى عن شبع بطنه ورتى كبده وهذا موجود فى اخلاق
الاناسى ولقد يقال مثله للحيوانات المفترسة وانها لا تسافد
اذا كانت فى ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المهلوك
امرء عليه فى تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء

والبقا لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثر من الكثير يقال أن سعدا أحصى من وراء المداين فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكة الاسلام في العدل ما علمت وإنما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يذعن للرق في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك بالمشرق والمعلوجا من الجلالة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا ينفون من الرق لما يؤملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وغيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر ولا يذهبون الى المزاخرة (1) والمحاربة الا اذا

(1) Mm. A. مراجعة. B. مراجعة. D. مزاحمة.

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بمنجاة عن عيثهم وفسادهم لانهم لا يتستّمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يردّون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولة عليها الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

فصل فى ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب فى ذلك انهم امة وحشيّة باستحكام عوايد التوحّش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذّوا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العاديّة كلها عندهم الرحلة والتقلّب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومنافٍ له فالحجر مثلا حاجتهم اليه لنصبه اثنافى للقذور فينقلونه من المبانى ويخربونها عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب او الملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والشن والاعمال كما سندكرة هي اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفسد ودفع بعضهم عن بعض انما همتهم (1) ما ياخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اعراض المفسد وربها فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجبابة والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمغن في دفع المفسد وزجر المتعرض

(1) Man. A. et B. همهم. C. همهم.

لها بل يكون ذلك زايذا فيها لاستسهال العزم في جانب
 حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كانوا فوضى دون
 حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه
 من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم
 واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم
 متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره
 ولو كان اباة او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره
 من اجل الحياء فيتعدّد الحكم منهم والامراء وتختلف الايدي
 على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض
 قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج
 واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته
 يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان
 من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت
 الارض فيه غير الارض فاليمن قراهم خراب الا قليلا من
 الامصار وعراق العرب كذلك قد حرب عمرانه الذي كان
 للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب
 لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد الماية الخامسة
 وتمرسوا بها لثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقا بها
 وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان
 والبحر الرومي كله عمرانا يشهد بذلك آثار العمران فيه

PROLÉGOMÈNES
d'El-Bir-Khalidoun.

من العالم وتمائيل البناء وشواهد القرى والمدائن والد
وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل فى ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)
دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين
على الجملة

والسبب فى ذلك انهم لخلق التوحش الذى فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
فى الرياسة فقل ما تجتمع اهاوهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين الهدى للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبى او الولى الذى يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
ويأخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لظهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والهلك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبراتها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعاناة المتهى لقبول الخير ببقاياه على الفطرة الاولى وبعده
عها ينطبع فى النفس من قبيح العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man. B et D. صيغة. C. صنعة.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدّم

فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الهلك

والسبب في ذلك انهم اكثر بداوة من ساير الامم وابتعد
مجالا في القفر واغنى عن حاجات التلؤل وحبوبها لاعتيادهم
الشطى وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورؤسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبية التى بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
ملكهم وترك مراغمتهم ليلا يختل عليه شأن عصبية فيكون
فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الهلك والسلطان تقتضى
ان يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
فمن طبيعتهم كما قدّمناه اخذ ما فى ايدى الناس خاصة
والتجافى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
باخذ ما فى ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم وربما جعلوا العقوبات على المفسد فى الاموال حرصا
على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك
وازا وربما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على المفسد
واستهانة ما يعطى من ماله فى جانب عرضه فتتمو المفسد
بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى
مستطيلة ايدى بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران

ويخرب سريعا شأن الفوضى كما قدّمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة (1) دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم لما رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة احيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انه للخلفاء وهم من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وامتحا رسها انقطع الامر جهلة من ايديهم وغلب عليه العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم انهم كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد من الامم في الخليفة ما كان لاجيالهم من الهلك ودول عاد وثمود والعمالة وحمير والتتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في

(1) Man. B. et D. صيغة C.

الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم عهد بالسياسة لما
نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى
المغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته الا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدّمناه والله خير الوارثين

فصل فى ان البوادرى من القبائل والعصايب مغلوبون
لاهل الامصار

قد تقدّم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر
والامصار لان الامور الضرورية فى العمران ليس كلها موجودا
لاهل البدو وانما يوجد لديهم وفى مواطنهم امور الفلاح
وموادها معدومة ومعظمها الصنایع فلا يوجد لديهم بالكلية من
نجار وخباط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفلاح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة
لديهم وانما بايدىهم اعواضها من مغلّ الزراعة واعيان الحيوان
او فضلاته البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل
الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى
الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم فى الحاجى
والكفاى فهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى بطبيعة
وجودهم فيها داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء

على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ومتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوه الى ذلك وطالبوهم به فان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهلها على الباقيين والا انتقض عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون اليه من الضرورات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تهت قدرته على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له فريق منهم يغالب به الباقيين فيضطّر الآخرين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربها لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل النواحي والجهات معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرهم فلا يجد هؤلاء ملجاء الا طاعة المصر واهله فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله القاهر فوق عبادة لا رب غيره ولا معبود سواه

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين) وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قرنا في الفصل الاول ان المغالبة
والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة
والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك
منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية
والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا
وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع الهنازة
وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع
الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور
بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدول منذ
اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد
جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب
الدولة قد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء
عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من
اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس
في نسيان هذه العصبية واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب

عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصايب والله
قادر على ما يشاء

فصل فى انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى
عن العصبية

والسبب فى ذلك ان الدول العامة فى اولها يصعب على
النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للخرابة وان
الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
فى اهل النصاب المخصوص بالملك فى الدولة وتوارثوه
واحدا بعد اخر فى اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت
النفوس شان الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة
الرياسة ورسخ فى العقايد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس
معهم على امرهم قتالهم على العقايد الايمانية فلم يحتاجوا
حينئذ فى امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من
الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا امر ما يوضع الكلام فى الامامة آخر
الكلام فى العقايد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما
بالموالى والمصطنعين الذين نشؤا فى ظل العصبية (1) وغيرها واما
بالعصايب الخارجين عن نسبها الداخلين فى ولايتها ومثل

(1) غيرها. Man. A. B. D.

هذا وقع لبنى العباس فان عصبية العرب كانت فسدت
لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهاهم بعد ذلك
انما كان بالموالى العجم والترك والديلم والساجوقية وغيرهم
ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة
فلم يكن تعدوا اعدال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها
وصارت الخلايف فى حكمهم ثم انقرض امرهم وملك
الساجوقية من بعدهم فصاروا فى حكمهم ثم انقرض
امرهم وزحف اخر الططر فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة
وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ الماية الخامسة
او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية
وبجاية والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور
من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع
ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء
الموحدون بقوة قوية من العصبية فى المصامدة فمحو آثارهم
وكذا دولة بنى امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من
العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها
وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم
على ما كان فى ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع
الدولة العباسية فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا شاراته وامنوا
ممن ينقص ذلك عليهم او بغيرة لان الاندلس ليست بدار

عصايب ولا قبائل كما سنذكره واستمرّ لهم ذلك كما
قال ابن شرف

مما يزهدي في ارض اندلس اسما معتمدا فيها ومعتمد
القاب مملكة في غير موضعها كالهز يحكى انتفاخا صورا الاسد

فاستظهروا على امرهم بالهوالى والمصطنعين والطرء على
الاندلس من ارض العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم
اقتداء بالدولة في آخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت
عصبية العرب استبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول
عظيمة استبد كل واحد فيها بجانب من الاندلس وحظ كبير من
الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ولم يزلوا في سلطانهم
ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من
لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر
على مدافعهم لفقدان العصبية لديهم فبهذه العصبية يكون
تمهيد الدولة وحياتها من اولها (وقد) ظن الطرطوشى ان
حامية (1) الدول باطلاقهم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة
ذكر ذلك في كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه
لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص
بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدول عند هرمها

(1) حاشية D. حياة Man. A. et B.

وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار بالهوى والصنایع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عند اختلال دولة بنى امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان فى ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبية شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثاية من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا يناع فيه ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشى القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبية فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى انه قد تحدث لبعض اهل النصاب الملكى
دولة تستغنى عن العصبية

وذلك انه اذا كان لعصبية غلب كبير على الامم والاجيال وفى نفوس القاييين بامرهم من اهل القاصية ادعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بامرهم وظاهروا على شأنه وعنوا بتمهيد

دولته يرجون استقرارة فى نصابه وتناوله الامر من يد اعياصه ولا يطمعون فى مشاركته فى شى من سلطانه تسليما لعصبيته وانقيادا لما استحکم له ولقومه من صبغة الغلب فى العالم وعقيدة ايمانية استقرت فى الازعان لهم فلو راموا معه او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبين من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدى آل العباس بعد ان استحکمت الصبغة لبنى عبد مناف لبنى امية اولاء لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقاموا بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاروية ومغيلة للادارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشيّدوا دولتهم ومهدوا بعصايبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيديين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم فى الممالك الاسلاميّة شقّ الابلّة وهولاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مذعنون لملكهم وانما كانوا ينافسون فى الرتبة ضدّهم خاصّة تسليما لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحکم من الغلب لقريش ومصر على ساير الامم فلم يزل الملك فى اعقابهم الى

انقراض دولة العرب بأسرها والله يحكم لا معقب
لحكمه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khalidoun.

فصل في ان الدول العامة للاستيلاء العظيمة الملك اصلها
الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما
يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب
وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقنا ما في الارض جميعا ما آلفنا بين قلوبهم وسرّه
ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا
حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفنا الى الحق
ورفضنا الدنيا والباطل واقبلنا على الله اتحدت وجهتها
فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاقد
واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدول كما نبين
لك بعد

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة
على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدّمناه ان الصبغة الدينية تذهب
بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة

الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى امرهم لم يقف لهم شئ لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عند جميعهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التى هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فان اغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدّمناه وهذا كما وقع للعرب فى صدر الاسلام فى الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا فى كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم واعتبر ذلك ايضا فى دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير مما يقاومهم فى العدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجتماع الدينى ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شئ واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فيغلب الدولة من كان تحت يدها من العصايب المكافية لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بهضافة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها او اشدّ بداءة واعتبر هذا فى

الموحدين مع زنائة لما كان زنائة ابدا من المصامدة واشدّ
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينيّة باتباع المهدي فلبسوا
صبغتها وتضاعف قوة عصبيّتهم بها فغلبوا على زنائة اولا
واستتبعوهم وأن كانوا من حيث العصبيّة والبداءة اشدّ منهم
فلما حالوا عن تلك الصبغة الدينيّة انتقضت عليهم زنائة
من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه والله غالب على
امره

فصل في ان الدعوة الدينيّة من غير عصبيّة لا تتمّ

وهذا لما قدّمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بدّ
له من العصبيّة وفي الحديث كما مرّ ما بعث الله نبيا
الا في منفعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى
الناس بخرق العوايد فما ظنك بغيرهم ان لا تحرق له
العادة في الغلب بغير عصبيّة وقد وقع هذا لابن قسي
شيخ المتصوّفة وصاحب كتاب خلع النعيلين في التصوّف
ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين
قبيل دعوة المهدي فاستتبّ له الامر قليلا بشغل لهُتونة بما
دهمهم من اسر الموحدين ولم يكن هناك عصايب ولا قبائل
يدفعونه عن شأنه فلم يلبث حتى استولى الموحدون على
المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم بايعهم من معقله

بحصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين (ومن) هذا الباب احوال الثوار القايمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعيين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والتهلبسون بهم من الغواء والدهما ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهلك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصايب والعشائر وهم المويّدون من الله لو شاء لا يتدهم بالكون كله لكنه انما اجرى الامور بحكمته على مستقرّ العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدر ان تعوقه العوايق وينقطع

به الهلاك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانتة والاخلاص له
والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد
حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطاء المامون بخراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلى بن موسى الرضى من آل
الحسين فكشف بنو العباس وجه التكبر (١) عليه وتداعوا للقيام
وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدى فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدى الدعاة بها
من الشطار والحربيّة على اهل العافية والصون وقطعوا
السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانيّة
فى الاسواق واستعدا اهلها الحكّام فلم يعدوهم فتوامر اهل
الدين والصلاح على منع الفساق وكفّ عاديتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الدعاة وغلبهم
واطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل (ثم) قام من بعده رجل
اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصارى
ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا فى عنقه ودعا الى الامر
بالمعروف النهى عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه

(١) Man. D. التكبر.

فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم
فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد
ومنع كل من اخاف (1) المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار
وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له
سهل لكى اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنا من
كان وذلك سنة احدى ومايتين وجهز ابراهيم بن المهدي
اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب ونجا
بدما نفسه (ثم) اقتداه بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين
ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون فى
اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم ومآل احوالهم
والذى يحتاج اليه فى امره ولا اما المداواة ان كانوا من اهل
الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا
واما اذاعة (2) السخرياء منهم وعدهم فى جملة الصناعين (3)
(وقد) ينتسب بعضهم الى الفاطمى المنتظر اما بانه هو او
داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمى ولا ما
هو واكثر المنتحلين لمثل هذا نجدهم موسوسين او مجانيين
او ملبسين (4) يطلبون بمثل هذا الدعوى رئاسة امتلاءت
بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشئ من اسبابها

(1) Man. A. et B. اضاف.

(2) Man. C. اذاعة.

(3) Man. A. et C. الصناعين. D. الصباغين.

(4) Man. C. ملبسين. D. ملتبسين.

العاديّة فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما
يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم من الهلكة فيسرع
اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لاول هذه الماية خرج بالسوس رجل من المتصوّفة
يدعى التويزرى عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر
هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبسا على العامة
هنالك بما ملاء قلوبهم من الحدثنان بانتظاره وان من
ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهافت عليه طوايف من
عامة البربر تهافت الفراش ثم خشي رؤساوهم اتساع نطاق
الفتنة فدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوى من
قتله فى فراشه (وكذلك) خرج فى غمارة لاول هذه الماية
ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى واتبع
نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى
بادس من امصارهم فدخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من
ظهور دعوته ومضى فى الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير
والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية فى مثلها واما ان
كان التلبس فاحرى ان لا يتم له امر وان يبوء بائمه وذلك
جزاء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها

والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القايمين بها
المهّدين لها لا بدّ من توزيعهم حصصا على الممالك والشغور
التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من حباية وردع وغير ذلك فاذا توزّعت
العصائب كلهم على الشغور والممالك فلا بدّ من نفاذ
عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون ثغرا للدولة
وتحما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد
ذلك زيادة على ما بيدها بقى دون حامية وكان موضعها
لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما
كانت العصابة موفورة ولم ينفذ عددهم فى توزيع الحصص
على الشغور والنواحي بقى فى الدولة قوة على تناول ما وراء
الغاية حتى ينفصح نطاقها الى غايته والعلّة الطبيعيّة فى
ذلك ان قوة العصبيّة هى من ساير القوى الطبيعيّة وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشأنها ذلك فى فعلها
والدولة فى مركزها اشدّ ممّا تكون فى الطرف والنطاق واذا
انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وقصرت عمّا

وراءه شأن الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر
المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهم
والضعف فانما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال
المركز محفوظا الى ان يتأذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ
يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها
بقاء الاطراف والنطاق بل تصححل لوقيتها فان المركز كالقلب
الذي ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم
جميع الاطراف (وانظر) هذا في الدولة الفارسية فان مركزها
المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس
اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقي بيده من اطراف ممالكه
وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها
القسطنطينية وغلبيهم المسلمون على الشام تحيَّزوا الى مراكزهم
بالقسطنطينية ولم يضرمهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل
ملكهم متصلا بها الى ان تأذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن
العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا
على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم
تجاوزوا ذلك الى ما وراء من السند والحبشة والافريقية
والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك
والشغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات
اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

تلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها
وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة
القايمين بها في القلّة والكثرة عند نفاذ عددهم بالتوزيع
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

فصل في ان عظم الدولة واتّساع نطاقها وطول امدها على
نسبة القايمين بها في القلّة والكثرة

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل
العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها
ويقتسمون عليها فما كان من الدول العامة قبيلها واهل
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر مهالك واوطانا وكان ملكها
اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لها الف سنة الله
كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك
آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرين (1)
الف من مصر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم
منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما في ايدي
الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزير فاستبيح حمى
فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم
والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس

(1) Man-C. et D. عشرة آلاف.

وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك
 باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة (ثم) انظر بعد
 ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما
 كان قبيل كتامة القاييين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة
 ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فهلكوا افريقية والمغرب
 والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما
 كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك
 الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم
 (ثم) اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بنى
 مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم
 اكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع
 نطاقا وكان لهم عليها الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد
 بنى مرين لاول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف وان عدد بنى عبد
 الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من
 اعدادهم وهى على هذه النسبة فى اعداد المتغلبين لاول
 الملك يكون اتساع الدولة وقوتها (واما) طول امدها ايضا
 فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج
 الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج
 تابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هى بكثرة العدد
 ووفرة كما قلناه والسبب الصحيح فى ذلك ان النقص

انما يبدأ الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلاميّة كيف كان امدها اطول السدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المتبذون بالاندلس ولم ينتقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديّين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معدّ المعز امر افريقية لبلكين بن زيرى سنة ثمان وخمسين ولثماية الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدين لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة القايمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصايب قل
ان تستحكم فيها دولة

والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل رأى منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها

منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ
 اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من
 البربر اهل قبائل وعصبيّات فلم يغن فيهم الغلب الاول
 الذى كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الفرنجة شيئا وعادوا
 بعد ذلك الثورة والردة مرّة بعد اخرى وعظم الاثخان من
 المسلمين فيهم ولما استقرّ الدين عندهم عادوا الى الثورة
 والخروج ولاخذ بدين الخوارج مرّات عديدة قال ابن ابي
 زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنى عشر مرّة ولم تستقرّ كلمة
 الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا
 معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقية مفرقة
 لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب والقبائل
 الحامل لهم على عدم الادعان والانقياد ولم يكن العراق
 لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها
 من فارس والروم والكافة دهماء (1) اهل مدن وامصار فلما غلبهم
 المسلمون على الامر وانتزعوهم من ايديهم لم يبق ممانع ولا
 مشاقق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تخصى وكلهم
 بادية واهل عصايب وعشاير وكلها هلكت قبيلة عادت
 الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر
 العرب فى تمهيد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك

(1) Man.A. et B. وهما.

كان الأمر بالشام لعهد بنى إسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبنى عيصو وبنى مدين وبنى لوط وادوم والآرامين والعماليقة واكريكش (١) والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا فى العصبية فصعب على بنى إسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موثد سائر أيامهم الى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلا والله غالب على أمره وبعكس هذا أيضا الاوطان الخلوة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وادعا لقلّة الهرج والانتقاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن فى مصر والشام لهذا العهد اذ هى خلوة من القبائل والعصبية كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر فى غاية الدعة والرسوخ لقلّة الخوارج واهل العصايب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الأمر واحدا بعد واحد وينتقل الأمر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسى من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الأندلس لهذا العهد فان عصبية ابن احرر سلطانها

(١) Man. D. البرنطس.

لم تكن لاول دولتهم بقوة ولا كانت لها كثرة انما كانوا
 اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا من
 ذلك الفلّ وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة
 العربية منهم وملكها البربر من لمتونة والموحدين سيموا
 ملكتهم وثقلت وطأتهما عليهم فاشربت القلوب
 بغضاهم ونكراهم وامكن الموحدون السادة في آخر الدولة
 كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار بهم على
 شأنهم من تملك حضرة مراكش فاجتمع من كان بقي بها
 من اهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافى
 بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشيء ورسوخا في
 الجندية مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مرّذيش فقام ابن
 هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
 الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد واخرجوهم
 واستقلّ ابن هود بالامر بالاندلس ثم سها ابن الاحمر للامر
 وخالف ابن هود في دعوته فدعا هولاء ابن ابي حفص صاحب
 افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله بعصاة قليلة من
 قرابته كانوا يسمونهم الرؤساء ولم يحتج لكثر منها لقلّة
 العصايب بالاندلس وانها سلطان ورعية (ثم) استظهروا بعد
 ذلك على الطاغية بمن يجيز اليه البحر من اعياص زناتة
 فصاروا معه عصابة على الهاجرة والرباط ثم سها لصاحب

المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس وصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تأثّل امره ورسخ والفته النفوس وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظنّ انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلّة العسايب والقبائل فيه يستغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوغل في الترف وايشار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلانّ المجد كما قدّمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألّفة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخر كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى تصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرّه ان العصبية العامة للقبيل هي مثل المزاج للمتكّون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بدّ يكون واحد منها غالبا على الاخر وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لا بدّ ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولفها

وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته بجميعها واذا تعين له ذلك (ومن) الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويجئ خلق التآله الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا فيجدع حينئذ انوف العصبيات ويكبح شكايهم عن ان يسموا الى مشاركته فى التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم فى الامر ناقة ولا جهلا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم للثانى او الثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه فى الدول سنة الله فى عباده (واما) التوغل فى الترف فلان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدى اهل الملك قبلها كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم فى عوايدهم واحوالهم

وبصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفاحرون في ذلك ويفاحرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس اللين وركوب الفاره ويناغى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدول ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها سنة الله في خلقه (واما) ايثار الدعة والسكون فلان الامّة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعى اليها

عجبت لسعى الدهريين وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من الهباني والمساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويوثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا وبالفن ذلك ويورثونه من بعدهم من احيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتأذن الله بامرهم

فصل فى انه اذا استحکمت طبيعة الملك من الانفراد
بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهم

وبيانه من وجوه الاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما
قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له
واحدا كانت همهم فى التغلب على الغير والذب عن الحوزة
اسوة فى طموحها وقوة شكايتها ومرماهم الى العز جميع فهم
يستطيعون الموت فى بناء مجدهم ويوثرون الهلكة على
فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيهم وكبح من
اعتتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن العز (١) وفشل
ريحهم وريموا المذلة والاستعباد ثم رى الجيل الثانى
على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان
لهم على الحماية والبعونة لا يجرى فى عقولهم سواء وقل ان
يسأجر احد نفسه على الهوت فيصير ذلك وهنا فى الدولة
وخضدا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف والهم
لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعة الملك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم
وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفى دخلهم بخرجهم فالفقير
منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك

(١) Man. A. et B. الغزو.

في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسّهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنایع دولتهم فيضعفون هم لذلك من اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عنهم الجباية مقدارها معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من الكسوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحامية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العسايب (1) والقبائل ويتأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل

(1) Man. A. et B. العسايب.

في النفس من الشر والسفسفة وعوايدها كما يأتي في فصل
الحصارة فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على
الملوك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك
في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعع احوالها
وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه
واذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة
وجبلة شأن العوايد كلها وأيلافها فتربا احيالهم الحادثة في عضارة (1)
العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون
عوايد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود
لافتراس وركوب البيداء وهداية الفقر (2) فلا يفرق بينهم
وبين السوق من الحضر الا في الثقافة والشارة فتضعف
حمايتهم ويذهب بأسهم وينخصد شوكتهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون
يتلونون (3) بعوايد الترف والحصارة والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينسأخون عنها شيئا فشيئا

(1) Man. A. et B. غصادة.

(3) Man. D. يتلونون.

(2) Man. D. هداية الفقر.

وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدولة التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالتشرف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى يتأذن الله فيها بامرته وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك الممالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشطف من ابناء الممالك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده من زناتة والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للتشرف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون

مائة وعشرون سنة وهى سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القراتات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القراتات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة القراتات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الهلة ما بين الستين الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعى الذى هو مائة وعشرين الا فى الصور النادرة وعلى الاوضاع الغربية من الفلك كما وقع فى شأن نوح عليه الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القراتات الا ان الدولة فى الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء النمو والنشوء الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل اخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل التى هى عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة فى الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة

والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والرّفه من البداوة الى الحضارة ومن الشطف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عزّ الاستطالة الى ذلّ الاستكانة فتتكسر سورة العصبية بعض الشيء ويونس منهم المهانة والخصوع ويبقى لهم لكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد وتراهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظنّ من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسبون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العزّ والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غاية بما تنكوه من النعيم وعصارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسبون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزّي وركوب الخيل وحسن الثقافة يهوّون بها وهم في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مرّ فى ان المجد والحسب انما هو فى اربعة آباء وقد اثيناك فيه ببرهان طبيعى ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمله فلن يعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مرّ ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيّد الى سنّ الوقوف ثم الى سنّ الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصحّح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرربت فى عدّتهم وكانت السنين الماضية منذ اولهم محصلة لديك

فعدّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الأباء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدّر الليل والنهار

فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيّة للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصيّة وما يتبعها من شدّة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتّسع الاحوال والحضارة انما هي تفنّن في الشرف واحكام الصنایع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والهيانى والفرش والآنية وسائر عوايد المنزل واحواله فكل واحد منها صنایع في استجاداته والثنائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملادّ والتنعم باحوال الشرف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون (ومثل) هذا

وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد فى شىء من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم المرفق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور فى خزائن كسرى فاستعملوه فى عجينهم ملحاً وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم فى مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة فى امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفتن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتن فى احواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف فى الاحوال واستجادة المطاعم المشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والآنية والغنا وساير الماعون والخرى وكذا احوالهم فى ايام المباحاة والولايم وليالى الاعراس فاتوا من ذلك وراء الغاية (وانظر) ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما فى اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاء فى خطبتها الى داره بقم الصالح وركب اليها فى السفين وما انفق فى املاكها وما نحلها المامون وانفق فى عرسها تنفق من ذلك على العجب (فمنه) ان الحسن ابن سهل نشر يوم الاملاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المامون فنشر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة على

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn Khaldoun.

الرقاع بالصياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما آذاه اليه الاتفاق والبحث وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بدارة اضعاى ذلك (ومنه) ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلاثون وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت وقال المامون حين رآه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقها حصاداً على ارض من الذهب

واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدة عام كامل ثلث مرات في كل يوم وفنى الحطب لليشد واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النوائية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله (وكذلك) عرس الهامون بن ذى النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من

البدواة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختار ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولايم الفرس وقال له اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال نعم ايها الامير شهدت بعض مرازية كسرى قد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على اخونه الفضة اربعا على كل واحد ويحملة اربع وصايف ويجلس عليه اربع من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المايذة بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت (ومن هذا الباب) اعطية بنى امية وجوايزهم فانما كان اكثرها الابل اخذا بمذاهب العرب وبداءتهم ثم كانت الجوايز في دولة بنى العباس والعبيديين ومن بعدهم ما علمت من احوال المال وتحت الثياب واعداد الخيل بهراكها وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبة بافريقية وبنى طنج بمصر وشأن لمتونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى امية وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى امية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة

بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك الساجوقية ثم الى
الترك بمصر موالى بنى ايوب والى التتار بالعراقيين وعلى
قدر عظم الدولة يكون شأنها فى الحصار اذ امور الحصار
من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة
والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة
فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه تجده
صحىحا فى العمران والدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الترف يزيد الدولة فى اولها قوة الى قوتها

والسبب فى ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك
والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة
واستكثروا ايضا من الموالى والصنایع وربيت اجيالهم فى جو
ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى
قوتهم بسبب كثرة العسايب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب
الجيل الاول والثانى واخذت الدولة فى الهرم لم يستقل
اولئك الصنایع والموالى بانفسهم فى تأسيس الدولة وتمهيد
ملكها لانهم ليس لهم من الامر شىء انما كانوا عيالا على
اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوم
فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة
(واعتبر) هذا بما وقع فى الدولة العربية فى الاسلام كان عدد

العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا او ما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنایع بلغ ذلك العدد الى اضعافه (يقال) ان المعتصم نازل عمورية لما افتتجها في تسعمائة ألف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذ اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصبة شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المامون للانفاق عليهم وكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واثاث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذى حصل للدولة وربى فيه اجيالهم ولا تعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

فصل فى اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها فى
البداءة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تنتقل فى اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكسب القايهون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لهزاج الحال الذى هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو

فى الغالب خمسة (الاول) طور الظفر وغلب المدافع والهمانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدى الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة فى هذا الطور اسوة قومه فى اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشئ لان ذلك هو مقتضى العصبية التى وقع بها الغلب وهى لم تنزل بعد بحالها (الطور الثانى) طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنایع والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبية وعشيرته المقاسمين له فى نسبه الضاربين فى الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدّهم عن موارد وبرّدهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقرّ الامر فى نصابه ويفرد اهل بيته بما يبنى من مجده فيعانى من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون فى طلب الامر واشدّ لانّ الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراوهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب ولا يظاهرة على مدافعتهم الا الاقل من الاباعد فيركب صعباً من الامر (الطور الثالث) طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثاء وبعد الصيت فيستفرغ وسعه فى

الجبابة وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها
وتشييد الهباني الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة
والهياكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه
القبائل وبث المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنايعه
وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض (1) جنوده وادرار
ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر
ذلك عليهم في ملابسهم وزينهم وشكتهم ايام الزينة فيباهي
بهم الدول المسالية ويرهب الدول المحاربة وهذا الطور آخر
اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم في هذه الاطوار
كلها مستقلون بارايهم بانون لعزمهم موضحون الطرق لمن
بعدهم (الطور الرابع) طور القنوع والهسالية ويكون صاحب
الدولة في هذا قانعا بما بنا اولوه سلما لانظاره من الملوك
واقناله مقلدا للماضين من سلفه يتبع آثارهم حذو النعل بالنعل
ويقتفى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج
عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بها بنوا من مجده
(الطور الخامس) طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة
في هذا الطور متلغا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات
والملاذ والكرم على بطانتها وفي مجالسها واصطناع اخدان
السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون

(1) Man. A. et B. اعراض.

بحملها ولا يعرفون ما يأتون وما يذرون منها مستفسدا لكبار
الاولياء من قومه وصنایع سلفه حتى يضطغنون عليه ويتخاذلوا
عن نصرته مضيعا من جنده بما أنفق اعطياتهم في شهواته
وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقدته فيكون مخربا لها كان
سلفه يوتسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل
في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن
الذى لا يكاد يخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان
تقرض كما نبينه في الاحوال التى نسردها والله خير الرازيين
فصل فى ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها

والسبب فى ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التى
بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك مبانى
الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة
فى اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدى على
العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب
كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من
آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا
ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنها وانظر
بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعترم
الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه

العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقنطرة التى على واديهما وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القناة الراكبة عليها وآثار شرشال بالغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار المائلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف (واعلم) ان تلك الافعال للاقدمين انها كانت بالهندام وباجتماع الفعلة وكثرة الايدى عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تنوّهه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالة والكنعانيين فى ذلك اخبارا عريقة فى الكذب من اغربها ما يحكون من عوج بن عناق رجل من العمالة (1) الذين قاتلهم بنو اسرائيل فى الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشويه فى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان

(1) الكنعانيين. Man.A. et B.

للسّمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان
الحَرّ هو الضّوء وان الضّوء فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا جاوزت مطارج الاشعة المنعكسة
فلا حرّ هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحب
وانما الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط
مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكروه
من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل
عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجثمانهم لذلك
العهد قريب من هياكلنا تشهد لذلك ابواب بيت
المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على
اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج
وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلطهم في هذا
انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثام العظيمة
فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس
الامر كذلك (وقد) زعم المسعودى ونقله من الفلاسفة
مزعما لا مستند له الا الشحّم وهو ان الطبيعة التى هى جبلة
الاجسام لما براء الله الخلق كانت فى تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال

تلك الطبيعة فان طرء الهوت انما هو بالانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية شأنه تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لنقصان المادّة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علّة طبيعيّة ولا سبب برهانيّ ونحن نشاهد مساكن الاولين ابوابهم وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن كديار ثمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابا ضيقة وقد اشار النبي صلى الله عليه الى أنّها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به واهريق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قرناه (ومن) آثار الدول ايضا حالها في العراصة والولايم كما ذكرناه في ولية بوران وصنيع الحجاج وابن ذى النون وقد مرّ ذلك كله (ومن) آثارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان الهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبيهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوايز ابن ذى يزن لوفد قريش كيف

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn Khaldoun.

اعطاهم من ارطال الذهب والفضة والاعبد والوصايف عشرا
عشرا ومن كرش الغنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله
لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت
استبداد فارس وانما حملة على ذلك همّة نفسه بما كان
لقومه التابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في
العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بافريقية ايضا
اذا اجازوا الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم
المال احمالا والكساء تخوتا مهلوة والحملان جنايب (1)
عديدة (وفي) تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
(وكذلك) كان عطاء البرامكة وجوايزهم ونفقاتهم وكانوا اذا
اكسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر
لا العطاء الذي يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم في
ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية
(وهذا) جوهر الصقلي الكاتب قايد جيش العبيديين لها
ارتحل الى فتح مصر استعدّ من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا (وكذلك) وجد
بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى
بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع النواحي ونقلته
من كتاب جراب الدولة (غلات) السواد سبعة وعشرون

حقايب (1) Man. A. et B.

الف الف درهم مكررة مرتين وسبعماية الف درهم وثمانون
الف درهم (ابواب) المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم
مرتين وثمان مائة الف درهم مرة ومن الحلل النجراتية مايتا
حلة (1) ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا (كسكر)
احد عشر الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة
(كور دجلة) عشرون الف الف درهم مرتين وثمان مائة الف
درهم مرة (الاهواز) خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن
السكر ثلاثون الف رطل (فارس) سبعة وعشرون الف الف
درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب (2)
الاسود عشرون الف رطل (كرمان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين ومايتا الف درهم مرة ومن المتاع اليهاني خمسمائة
ثوب ومن النمر عشرون الف رطل ومن الكهون الف رطل
(مكران) اربعماية الف درهم مرة (السند) وما يليه احد عشر
الف الف درهم وخمسمائة الف درهم مرة ومن العود الهندي
مائة وخمسون رطلا (سجستان) اربعة آلاف الف درهم مرتين
ومن الثياب المعتبة ثلثمائة ثوب ومن الفانيذ عشرون الف
رطل (خراسان) ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن
نقر الفضة الفا نقرة (3) ومن البراذين اربعة آلاف دابة ومن

(1) Le m. A. et le m. B. ajoutent ثنتان. (3) Man. A. et B. ajoutent اثنان.

(a) Man. A. et B. الزيت.

الرقيق ألف راس ومن الثياب سبعة وعشرون ألف ثوب
ومن الاهليالج ثلاثة آلاف رطل (جرجان) اثنا عشر ألف ألف
درهم مرتين ومن الابرسم ألف شقة (قومس) ألف ألف درهم
مرتين وخمسمائة ألف ومن نقر الفضة ألف (طبرستان)
والرويان ونهاوند ستة آلاف ألف درهم مرتين وثلاثمائة ألف
ومن الفرش الطبرية ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ثنتان
ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثمائة ومن
الجامات ثلاثمائة (الري) اثنا عشر ألف ألف درهم مرتين
ومن العسل عشرون ألف رطل (همدان) احد عشر ألف
ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم مرة ومن رب
الرمانيين ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (مابين)
البصرة والكوفة عشرة آلاف ألف درهم وسبعماية ألف درهم
(ماسبدان) والربان اربعة آلاف ألف درهم مرتين (شهرزور)
ستة آلاف ألف درهم مرتين (الموصل) وما اليها اربعة
وعشرون ألف ألف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون ألف رطل (اذربيجان) اربعة آلاف ألف درهم
مرتين (الجزيرة) وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلاثون
ألف ألف درهم مرتين (الكرج) ثلاثمائة ألف درهم مرة
(كيلان) خمسة آلاف ألف درهم مرتين ومن الرقيق ألف
راس ومن العسل اثنا عشر ألف زق ومن البزاة عشرة ومن

الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين
ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم خمسمائة وثمانون
رطلا ومن المايح (I) السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الطريح
عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ثنتان ومن البزاة
ثلاثون (قشرين) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
ومن الزبيب ألف حمل (دمشق) أربعمائة ألف دينار وعشرون
ألف دينار (الأردن) ستة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة
ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل
(مصر) ألفا ألف دينار اثنان مرتين وتسعمائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار (برقة) ألف ألف درهم مرتين (أفريقية)
ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون
(اليمن) ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع
(الحجاز) ثلثمائة ألف دينار (وأما الأندلس) فالذى ذكره
الثقات من مؤرخيها أن الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك
بنى أمية الملقب بلقب الخلافة ترك في بيوت أمواله
عند الوفاة خمسة آلاف ألف دينار مكررة مرتين يكون جهلتها
بالقناطير خمسمائة قنطار (ورأيت) في بعض تواريخ الرشيد أن
المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قنطار من
دنانير الذهب وخمسمائة قنطار في كل سنة (وأما دولة

(r) Man. A. المالح. man. D. المساح.

العبيديّين) فرايت في تاريخ ابن خلكان عند ما ذكر
 الأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي الهستبيّ على خلفائهم
 بمصر أنه لما قتل وجد في خزانته ستمائة ألف ألف
 دينار مكرّرة مّرتين ومايتان وخمسون اردبا من الدراهم وما
 يناسب ذلك من ذخاير الفصوص والألالي والأقشعة والأمتعة
 والمراكب والحمولة (واما) هذه الدول الحادثة التي ادركناها
 فاعظمها دولة الترك بمصر وكان استفحالها ايام الناصر
 محمد بن قلاوون منهم وغلب عليه لاول دولته الاميران
 بيبرس وسلار ثم خلعه بيبرس واستبدّ بكروسيه وسلار
 رديف له فلما انتزع الناصر الملك من يده ونكب بعد
 مدّة رديفه سلار واستصفيّ ذخيره فوقف على جريدة
 احصايتها ومنها نقلت من الياقوت البرهماني والبالخش
 اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص
 الماس وعين الهرّ ثلثمائة قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة
 رطلان ومن اللؤلؤ المدور من زنة مثقال الى وزن حبة ألف
 ومائة وخمسون حبة ومن الذهب العين ألف ألف دينار
 مكرّرة مّرتين واربعماية ألف مرّة وفسقية مملوءة بالذهب
 صبيبا واكياس مملوءة ذها استخرجت من بين حايطين
 ولم يعلم عدتها ومن الدراهم ألف ألف اثنان مكرّرة مّرتين
 واحد وسبعون ألفا ومن الحلى المصاغ اربعة قناطير الى ما

يناسب ذلك من الاقشيشة والامتعة والمراكب والظهر والغلال
والسايمة والمهاليك والجواري والعقار (وبعدها) دولة بنى
مربى بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة فى خزانة
ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون بن البواق ان
مخلف السلطان ابنى سعيد ببیت ماله سبعماية قطنار
ونيف من دنانير الذهب وفى موجودة مما سوى ذلك ما
يناسبه وكان السلطان ابنى الحسن ابنه من بعده اكثر من
ذلك (ولما) استولى على تلمسان وجد فى ذخاير سلطانها
ابى تاشفين من ملوك بنى عبد الواد ثلثمائة قطنار ونيف
من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى ما يناسب ذلك
مما سواه (واما) ملوك افريقية الهوحديين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قائده واتابك عساكره
محمد بن الحكيم فاستصفى منه اربعين قطنارا من دنانير
الذهب ومد من الفصوص واللالى ونهب من فرش بيوته
قريب من ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتهلكات
(وحضرت) بمصر ايام الملك الظاهر ابنى سعيد بقوق وقد
نكب استدارة الامير محمود وصادره فاحبرنى متولى
مصادرتة ان مبلغ ما استصفى منه من الذهب الف الف
دينار مكررة مرتين وستماية الف الف دينار مرة واما ما سوى
ذلك من الاقشيشة والمراكب والانعام والغلال والظهر فعلى

نسبة ذلك (فاعتبر) ذلك في نسبة الدول بعضها الى بعض ولا تنكرون ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شئ من امثاله فتضييق حوصلتك عن ملتقط الممكّنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى امية والعباسيين وقايسنا الصحيح من ذلك والذي لا نشك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت فى اصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الاصل فى القوة كما قدّمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال فى غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يالحق بالمستفيض والتواتر وفيها المعايين والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ (1) من الاحوال الهنقولة مراتب الدول فى قوتها او ضعفها وضخامتها وصغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان ابنى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة

(1) Man. A. et B. فخذ. D. يتخذ.

طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من احواله بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتتاجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن واربطته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

بما انك لم تراه فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يعتدى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه فيقول ايسن الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفار وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا اصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في (١) نسبة ذلك على احواله وحكمها بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زد لي علما

(١) Man. C. et D. من.

فصل فى استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالى والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم
عصابته وظهره على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته
ومنهم يقلد اعمال ملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاؤه فى الامر ومساهموه فى ساير
مهمات هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور
الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه
بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج فى
مدافعتهم عن الامر وصدّهم عن المشاركة الى اولياء اخرين
من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولّاهم دونهم فيكونون
اقرب عليه من سايرهم وانخصّ به قربا واصطناعا واولى
ايثارا وجاها لما انهم يستميّتون دونه فى مدافعة قومه عن
الامر الذى كان لهم والرتبة التى القوها فى مشاركتهم
فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصّهم بمزيد التكرمة
والايثار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويقلّدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختصّ به لنفسه
ويكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم
حينئذ اولياء الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ

مؤذن باهتمام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل
الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه
ويترصون به الدواير ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب
الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بنى امية
كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال
العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن
زياد بن ابي سفيان والحجاج ابن يوسف والمهلب بن
ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابى هيرة وموسى
ابن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن
سيار وامثالهم من رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد
بالمجد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة
للعجم والصنائع من البرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وبنى طاهر ثم بنى بويه وموالى الترك مثل بغا ووصيف
واتامش وباكياك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من
موالى العجم فتصير الدولة لغير من مهدها والعز لغير من
اجتلبه سنة الله في عباده

فصل فى احوال الموالى والمصطنعين فى الدول

علم ان المصطنعين فى الدول يتفاوتون فى الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم فى الالتحام بصاحبها والسبب فى ذلك ان المقصود فى العصبية من الهدافة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر فى ذوى الارحام والقربى والتخاذل فى الاجانب والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهمى والمعنى كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة وطول الممارسة والصحة بالمربا والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر فى الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وان لم يكن نسبا فثمرات النسب موجودة فان كانت الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الهلك لهم كانت عروقتها اوشج وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة فى حالهم فلا يتهيز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوى قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد

PROLÉGOMÈNES
d'Elia Khaldoun.

عن الموالى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك من تميز الرتب وتفاوتها فتتيز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثانى ان الاصطناع قبل الملك يبعد اهله عن الدولة بطول الزمن ويخفى شأن تلك اللحمية ويظن بها فى الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى فى معرفته الاكثر فتتبين اللحمية وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعا قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اشد التحاما به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمية ما للدولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة فى آخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناء المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ باوليتهم واشراف (١) الدولة على الانقراض فيكونون منحطين فى مهاوى الضعة وانما يحمل

(١) Man. C. et D. مشاركة.

صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليائهم
الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعتربهم في انفسهم من العزة
على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله
واهل نسبه لتاكّد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى
والاتصال بأبائهم وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته
فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فيناظرهم بسببها
صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد
استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
ويبقون على حالهم من الخارجيّة وهكذا شأن الدول في
اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين
واما هؤلاء المحدثون فخدم واعوان والله وليّ المؤمنين

فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه

إذا استقرّ الملك في نصاب معيّن ومنبت واحد من القبيل
القايين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله
بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب
على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر
ولاية صبي صغير او مضغف من اهل المنبت (١) يترشح
للولاية بعد ابيه او يترشح ذويه وخوله ويونس منه العجز

(١) Man. D. البيت.

PROLÉGOMENES
d'El-Khi-Khaldoun.

عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله وبورى بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسيمه في مراعيها متى امكنه وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انها هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التمويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي ومباشرة الاحوال الهلوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والبال والشغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويورثه عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبنى بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق وللمنصور ابن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشانه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب عليه اما بقتل او بدفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد

نسوا عهد الرجوليّة والفوا اخلاق الدايات ولاظار وربوا عليها
فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انها
همهم في (١) القنوع بالابهة والتفتن في اللذات وانواع الترف وهذا
التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك
على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منها الا فى الاقل
النادر والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه فى
اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة
بعصبة قومه وعصبيته التى استتبعتهم حتى استحكمت
له ولقومه صبغة الملك والغلب وهى لم تزل باقية وبها
انحفظ رسم الدولة وبقاوها وهذا المتغلب وان كان صاحب
عصبة من قبيل الملك او الموالى والصنایع فعصبة مندرجة
فى عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس لها صبغة فى الملك
وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع
ثمراته من الامر والنهى والحل والعقد والابرام والنقض يوهم
بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ فى

• همهم القنوع (١) Man. A. et B.

ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات
الهلك وشاراته والقابله جهده ويبعد نفسه عن التهمة
بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده
ذلك بالحجاب الذى ضربه السلطان واولوه على انفسهم
من القبيل مذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض
لشئ من ذلك لنفسه غلبه اهل العصبية وقبيل الملك
وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة في
ذلك تحملهم على التسليم له والانقياد فيهلك لاول وهلة
وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر
حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم
يقنع بما قنع ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم
التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم
ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم
الخليفة هشام ابن محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا
عليهم وكان في ذلك خراب دولة العاصريين وهلاك
المويدة خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى
آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

فصل في حقيقة الملك واصنافه

الهلك منصب طبيعي للانسان لانا قد بينا ان البشر

لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم وإذا اجتبعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويهانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية فى ذلك فيقع التنازع الهفصى الى المقاتلة وهى تودى الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفصى ذلك الى انقطاع وهو مما خصه الرب رى تعالى بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم ينزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد فى ذلك من العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف يتوجه نحوه الطلبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصبية كما مرّ والعصبية متفاوتة وكل عصبية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرتها وليس الملك لكل عصبية وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبى الاموال ويبعث البعث ويحمى الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته فى المشهور فمن قصرت به

عصبية عن بعضها مثل حماية الثغور وحماية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير
من ملوك البربر في دولة الاغالبه بالقيروان وملوك العجم
صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبية ايضا من
لاستعلاء على جميع العصبية والضرب على ساير الايدي
وكان فوقه حكم غيره فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته
وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم
دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق
اعني يوجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون
بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك
العجم في دولة بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع
الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله
القاهر فوق عباده

فصل في ان ارهاق الحد مضر بالملك ومفسد له
في الاكثر

اعلم ان مصالحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسه
من حسن شكله او ملاحاة وجهه او عظم جثمانه او اتساع

علمه او جودة خطه او ثقب ذهنه انما مضاحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافيّة وهى نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعيّة القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعيّة والرعيّة من لها سلطان والصفة التى له من حيث اضافته اليهم هى التى تسمى الملكة وهى كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جبيلة صالحة كان ذلك مصالحة لهم فان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكا لهم ويعود حسن الملكة الى الفرق فان الملك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقيا عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلّقوا بها وفسدت بصايرهم واخلقهم وربّما خذلوه فى مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربّما اجتمعوا قتله لذلك فتفسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا ففسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستهاتوا دونه فى محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب (واما) توابع

حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التجبب الى الرعية وإعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس فاكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل وقل ما في اليقظ انه يكلف الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعهم على عواقب الامور في مبادئها بالهتية فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم (ومن) هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكاء وماخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال عزلتني يا امير المؤمنين العجز ام لخيانة فقال له عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد ابن ابي سفيان وعمرو بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الهلكة وحمل الوجود على ما ليس في طبيعته كما ياتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكيين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في لجهود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحمود هو التوسط كما في

الكرم مع التبذير والبخل وكما فى الشجاعة مع الهوج والجبن
 وغير ذلك من الصفات الانسانية وبهذا يوصف الشديد الكيس
 بصفات الشيطان فيقال شيطان ومُنشِطُن وامثال ذلك والله
 يخلق ما يشاء

فصل فى معنى الخلافة والامامة

لها كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه
 التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت
 احكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق مجحفة بمن
 تحت يده من الخلق فى احوال دنياهم لحمله اياهم فى
 الغالب على ما ليس فى طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف
 ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر
 طاعته لذلك وتجيى العصية المفضية الى الهرج والقتل
 فوجب ان يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة
 يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس
 وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من (1) مثل هذه السياسة
 لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله فى الذين خلوا
 من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر
 الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من
 الله سبحانه وتعالى بشارع يقررها وبشرعها كانت سياسة دينية

(1) Man A. اختلت الدولة فى B. اختلقت.

نافعة فى الحياة الدنيا والآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله تعالى يقول افرحبتكم انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم الهضى بهم الى السعادة فى آخرتهم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض فجاءت الشرايع تحمليهم على ذلك فى جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الهلك الذى هو طبيعى للاجتماع الانسانى فاجرتة على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية فى مراعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو فى مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بهقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بهصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عايذة عليهم فى معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هى اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بهقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية فى احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل

الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك طبعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيها نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل فى اختلاف الامة فى حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمى خلافة وامامة والقيام به خليفة واماما وسمّاه المتأخرون سلطانا حين فشا التعدد فيه واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة فى اتباعه ولاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف فى تسميته خليفة الله فاجازه

بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى أنى جاعل فى الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف فى الارض ومنع الجمهور منه لأن معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله ولأن الاستخلاف إنما هو فى حق الغائب وأما الحاضر فلا (ثم) ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابنى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذى وقع فأنما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وإنما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم متفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظ الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فسادها وان احدى مقدماته ان الوازع إنما يكون بشر من

الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان
الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر الشوكة ولو لم يكن شرع
كما فى اسم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه
الدعوة او نقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم
الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم ان ارتفاع النزاع انما يكون
بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الروساء اهل الشوكة او
بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينتهض دليلهم العقلى
المبنى على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما
هو بالشرع وهو الاجماع الذى قدمناه وقد شد بعض الناس
فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب
عند هؤلاء امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء
محبوبون بالاجماع والذى حملهم على هذا الذهب انما هو
الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع
بالدنيا لما راوا الشريعة ممثلة بذم ذلك والنعى على اهله
ومرغبة فى رفضه (واعلم) ان الشرع لم يذم الملك لذاته
ولا حظر القيام به وانما ذم الفاسد الناشئة عنه من القهر
والظلم والتمتع بالذات ولا شك فى ان هذه مفسد محظورة

وهي من توابعه كما اتنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه واوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذن انها وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من الهكفين وليس مراده تركهما بالكيفية لداعية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرها وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيئا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرران هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنيين معا وعليه جمهور العلماء وقوفا مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك فى صحيح مسلم فى كتاب الامارة منه وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو فى البلد الواحد او فى حال تقاربهما

واما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من آراء الاندلسيين والمغاربة الجنوح الى ذلك فقد كان العلماء بالاندلس متواقرين وبايعوا لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن منهم وابناءه بامير المومنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى وكذا الموحدون بعدهم بالغرب وقد ردّ بعضهم ذلك بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اقعد بهركة الاجماع نعم ردّ على الامام الهازرى والنووى وقوا مع طواهر الاحاديث كما قلناه وربما احتجّ لذلك بعض المتأخرين بدليل التنازع الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا ولا ينعص الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان دلالتها عقلية نبتها الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا باعتقاده بدليل عقلى فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب الامامة المنع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم الاستدلال بها الا ان يقررها شرعية بزيادة مقدمة اخرى وهى ان التعدد ينشاء عنه الفساد ونحن ممنوعون مما يجزّ اليه وبصير الاستدلال حينئذ شرعيا والله اعلم (واما) شروط هذا

المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي (1) والعمل واختلاف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه اما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديره لها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفايها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصبية واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الاعضاء في العمل كفقْد اليدين والرجلين والانشيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقْدان احدى

(1) Man. B. et C. الرأي. A. المرأى.

هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال (ويلحق) بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الجبر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحמיד السياسة جاز اقراره ولا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة (واما) النسب القرشي فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واخضجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في قريش وامثال هذه الادلة كثير الا انه لها ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما انفقتهم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حمل الخلافة وتغلب عليهم

الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفى اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبينة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لوليته او لما داخلتنى فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولا حاصلة بسالم من قريش وهي الفايذة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولا المفيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا الفايذة في النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولا وكان ذلك حرصا من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تالحقه به لايمة ولا عليه فيه عهدة (ومن) القايلين بنفى اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قريش من الثلاثي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال

الخلفاء لعهدده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة
الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين
ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على امره
لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية
واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم
والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع
(ولنتكلم) الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب
في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها
من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد
الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى
الله عليه وسلم كما هو المشهور وان كانت تلك الوصلة
موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد
الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصلحة في اشتراط
النسب هي المقصودة في مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم
نجدها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة
ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن
اليه الملة واهلها وينتظم جبل الالفة فيها وذلك ان قريشا
كانوا انف مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على
ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب

يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبة وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعضا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا الهنصب وهم اهل العصبة القوية ليكون ابلغ في انتظام الهبة واتفاق (1) الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت لامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو

(1) اتفاق. Man.A. et B.

لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علما ان ذلك انما هو من الكفاية فردناه اليها وطرنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشتطنا فى القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية على من معها بعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعم ذلك فى الاقطار والآفاق كما كان فى القرشية اذ الدعوة الاسلامية التى كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله فى الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه فى القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب فى شأن النساء وانهن فى كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن فى الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شئ وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا فى العبادات التى كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر

امّة او جيل الا من غلب عليهم وقتل ان يكون الامر الشرعى مخالفا للامر الوجودى والله تعالى اعلم

فصل فى مذاهب الشيعة فى حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع على وبنيه رضى الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الامّة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامّة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكباير والصغاير وان عليا رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله عليه بنصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون فى طريقه وبعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلى وخفى فالجلى مثل قوله من كنت مولا فعلى مولا قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا فى على ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مومن ومومنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم على ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد باولى الامر الواجبة طاعتهم من الله

بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والهراد اسحكم والقضا ولهذا كان حكما فى قضیة الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على (وسن) الخفى عندهم بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة فى الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحى اليه ليلغه رجل عنكم او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم على وايضا فلم يعرف انه قدّم احدا على على واما ابو بكر وعمر فقد قدّم عليهما فى غزائين اسامة بن زيد مرة وعمر بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين على للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم (ثم) منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين على وتشخيصه وكذلك ينتقل منه الى من بعده وهؤلاء الامامية ويتبرّون من الشيخين حين لم يقدّموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون فى امامتهم ولا نلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم (ومنهم) من يقول ان هذه الادلة انها اقتضت تعيين على بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرّون من

الشيخين ولا يغمصون في امامتهما مع قولهم بان عليا افضل
منهما لكنهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل (ثم
اختلفت) هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي (فمنهم)
من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقاتلتهم
باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذاهبهم
(ومنهم) من ساقها الى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة
وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا
ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب
الذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان
يناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام
فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوها زيد العابدين اماما لانه لم
يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه
مذاهب المعتزلة واخذة اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر
الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهما
ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا
رافضة (ومنهم) من ساقها بعد علي او ابنه السبطيين على
اختلافهم في ذلك الى اخيها محمد بن الحنفية ثم الى
ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاة وبين هذه
الطوائف اختلافات تركناها اختصارا (وفيهم) طوائف يسمون

الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايان في القول بالاهيئة هولاء
الايمة اما على انه بشر اتصف بصفات الالهية وان الاله
حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب
النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على
رضي الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط
محمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد لها بلغه مثل
ذلك عنه فصرح بلغه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر
الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه (ومنهم) من يقول ان
كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام
اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ (ومن هولاء
الغلاة) من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز الى غيره
بحسب من تعين لذلك عندهم وهولاء الواقفية فبعضهم
يقول هو حي لم يموت الا انه غايب عن اعين الناس
ويستشهدون لذلك بقضية الخضر قيل مثل ذلك في
على رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وقالوا مثله في محمد ابن الحنفية وانه في جبل
رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الائمة من قريش	ولاة السحق اربعة سواء
على والثلاثة من بنييه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبنو	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الجيش يقدسه الولاء
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية ونحوها الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى ويلقبونه المهدي دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيّب حين اعتقل مع امّه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيهلك الارض عدلا يسيرون بذلك الى الحديث الواقع فى كتاب الترمذى فى المهدي وهم الى الآن ينتظرونه ويسمّونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد (وبعض) هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بها وقع فى القران الكريم من قصّة اهل الكهف والذى مرّ على قرية وقتل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت فى طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هؤلاء السيد الحميرى ومن شعرة فى ذلك

عند الما شط بالخصاب	اذا ما المر شاب له قذال
فقم يا صاح نيك على الشباب	فقد ذهبت بشاشته واودى
الى احد الى يوم الايساب	فليس بعائيد ما فات منه
الى دنياهم قبل الحساب	الى يوم يؤب الناس فيه
وما انا فى النشور بذى ارتياب	اديس بان ذلك ديس حق
حيوا من بعد درس فى التراب	كذاك الله اخبر عن اناس

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ايّة الشيعة فانهم لا يقولون بها
ويبطلون احتجاجاتهم عليها (فاما الكيسانيّة) فساقوا الامامة
من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء
الهاشمية ثم افترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على
ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم
لما مات بارض الشراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد
بن على بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه
ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن
الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله
ابى جعفر الملقب بالنصور وانتقلت فى ولده بالنص
والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية
القايمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربّما
يعتدون ذلك بان حقهم فى هذا الامر يصل اليهم من
العباس لانه كان حيّا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبية
العمومية (1) (واما الزيدية) فساقوا الامامة على مذاهبهم فيها وانها
باختيار ايّة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة على ثم
ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم
ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج

(1) Man C. بعصبه. D. بعصانة العمومة.

بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصاب بالكناسة وقال الزيدية
بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل
بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز
وتلقب بالمهدى وجاءت عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد
بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن
على فزحف اليهم المنصور في عساكره او قواده فهزم
وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك
كله وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون منهم الى ان
الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن
القاسم بن علي بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي
فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى
المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من
الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي
حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
الامامة في عقبه واليه انتسب داعي الزنج كما نذكره في
اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن
عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هناك
وقام بامر ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان
من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في

اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
 الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن
 محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن السبط
 واخوه محمد بن زيد (ثم) قام بهذه الدعوة في الديلم
 الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن ابن
 علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي
 فكانت لبنيه في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في
 اخبارهم (واما الامامية) فساقوا الامامة من علي الوصي الى
 ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه
 علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه
 جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر
 من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمن كما مر (واما
 الاسماعلية) فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابيه جعفر
 الصادق وفايدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل
 ابيه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى
 ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين لان الامام عندهم
 قد لا تكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة

للحجة على الخلق وإذا كانت له شوكة ظهر وظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته ابو عبد الله الشيعي في كتامة وتابعه الناس على دعوته ثم اخرجته من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا الهلجنة لها في ضمن مقالاتهم من الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن ابن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الططر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (واما الاثنى عشرية) وربها خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه على الرضا الذي عهد اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد الثقي ثم ابنه على الهادي ثم ابنه الحسن

العسكرى ثم ابنه مجد المهدى المنتظر الذى قدّمنا ذكره
وفى كل واحد من هذه الهقالات للشيعة اختلاف كثير لا ان
هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتب
الملل والنحل لابن حزم والشهرستانى وغيرها ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء

فصل فى انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعّية للعصبية ليس وقوعه عنها
باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل
وان الشرايع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بدّ
فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتمّ الا بها كما قدّمناه
فالعصبية ضرورة للملّة وبوجودها يتمّ امر الله منها وفى
الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه ثم وجدنا
الشارع قد ذمّ العصبية وندب الى اطراحها وتركها فقال
ان الله اذهب عنكم غيّة الجاهليّة وفخرها بالآباء انتم بنو
آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ووحدناه ايضا قد ذمّ الملك واهله ونعى على اهله احوالهم
من الاستمتاع بالخلاف والاسراف فى غير القصد والتنبّك
عن صراط الله وانما حصّ على الالفّة فى الدين وحذر من
الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn Khaldoun.

مطية للآخرة ومن فقد الهية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التى نشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها فى اغراض الحق جهدا لاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقًا وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزع من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان والاعراض الذميمة فاذا كان الغضب فى الله ولله كان مدوحا وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا فى حقه وانما المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع (1) وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت فى الجاهلية وان (2) يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان

(1) Man. D. الشارع.

(2) Ibid. الا.

ذلك مجان من افعال العقلاء وغير نافع فى الآخرة التى
هى دار القرار فاما اذا كانت العصبية فى الحق واقامة امر
الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها
الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع
لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة
المصالح وإنما ذمه لها فيه من التغلب بالباطل وتصريف
الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك
مخلصا فى غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله
وجهاد عدوة لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات
الله وسلامه عليه رب هب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى
لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل فى النبوة والملك
(ولما) لقي معاوية عهر بن الخطاب رضى الله عنهما عند
قدومه الى الشام فى ابهة الملك وزيه من العديد والعدة
استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية قال يا امير المؤمنين
انا فى ثغر تجاه العدو ونا الى مباحاتهم بزينة الحرب
والجهاد حاجة فسكت ولم يخطيه لها احتج عليه بمقصد
من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من
اصله لم يقنعه هذا الجواب فى تلك الكسروية وانتحالها
بل كان يحرص على خروجه منها بالجملة وإنما اراد عمر
بالكسروية ما كان عليه اهل فارس فى ملكهم من ارتكاب

الباطل والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وإنما قصده بها وجه الله تعالى فسكت وهكذا شأن الصحابة فى رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضى الله عنه على الصلاة اذ هى اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهى حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجز للهلك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعا سنن صاحبه وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقاتل الامم فغلبهم واذن للعرب فى انتزاع ما بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوهم منهم ثم صارت الى عثمان ثم الى على والكل متهربون من الملك منكبون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عضاضة الاسلام وبدادة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا وترفها لا من حيث دينهم الذى يدعوهم الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفده الذى الفوه فلم تكن امّة اسغب (1) عيشا من مضر لما كانوا

(1) Man. D. اشعث.

بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياى وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس ويفخرون باكل العلhez وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة فى الدم ويطبخونه وقريب من هذا حال قريش فى مطاعمهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصديق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرقة لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذة الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضى الله عنه يرقع ثوبه بالجلد وكان على ما يقول يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم يعهد للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم (قال) المسعودى فى ايام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار والى الف درهم وقيمة

ضياعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا الف دينار وخلف
ابلا وخیلا كثيرة (وبلغ) الثمن الواحد من متروك الزبير
بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة
(وكانت) غلة طاحه من العراق الف دينار كل يوم ومن
ناحية الشراة اكثر من ذلك (وكان) على مربط عبد الرحمن
ابن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الآف من الغنم
وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربع وثمانين الف (وخلف)
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خلف من الاموال والضياع بياية الف دينار (وبنى) الزبير داره
بالبصرة وكذلك بنى بهصر والكوفة ولاسكندرية (وكذلك)
بنى طاحه داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنها بالجص
والاجر والساج (وبنى) سعد بن ابى وقاص داره بالعقيق
ورفع سكهها واوسع فضاها وجعل على اعلاها شرفات (وبنى)
المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (وخلف)
يعلى بن منبه خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته
ثلماية الف درهم انتهى كلام المسعودى فكانت مكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعا عليهم فى دينهم اذ هى
اموال حلال لانها غنايم وفىء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف
انها كانوا على قصد فى احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك
بقادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانها يرجع الى ما

أشرفنا إليه من الأسراف والخروج به عن القصد وإذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عوناً لهم على طريق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغصاة إلى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم حكم الرفة والاستكثار من الأموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق (ولما) وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي أو لا يثار باطل أو لاستشعار حق كما يتوهمه متوهم أو ينزع إليه ملحد وإنما اختلف اجتهدهم في الحق وخالف كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل وإنما قصد الحق وأخطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستيثار الواحد به ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتضاء الحق من اتباعهم فاعصوبوا عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معاوية على

غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة (وقد) كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا راي ابا القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شئ لوليت الخليفة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكنه كان يخشى من بنى امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم ليلا تقع الفرقة وهذا كله انها حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجهه لم يكن في ذلك نكير عليه وقد انفرد سليمان وابوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانوا بنو امية لم يرضوا تسليم الامر لمن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاش لله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل البطالة والبغى انما كانوا متحررين

لمقاصد الحق جهدهم الا فى ضرورة تحملهم على بعضها
 مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو اهمّ لديهم من كل مقصد
 يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم
 السلف من احوالهم فقد احتجّ مالك فى الهوطا بعمل عبد
 الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين
 وفضله معروف ثم تدرّج الامر فى ولده عبد الملك وكانوا
 من الدين بالمكان الذى كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد
 العزيز ونزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم
 يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك فى اغراضهم
 الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرّى
 القصد فيها واعتماد الحق فى مذاهبها فكان ذلك ممّا
 دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية
 منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بى كان وصرفوا
 الملك فى وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو
 الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر
 الى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقّه وانغمسوا فى الدنيا
 وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتأذن الله بحربهم وانتزع
 الامر من ايدي العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم
 مثقال ذرّة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم
 فى تحرّى الحق من الباطل علم صحّة ما قلناه وقد حكى

المسعودى مثله فى احوال بنى امية عن ابى جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بنى امية (فقال) اما عبد الهلك فكان جبارا لا يبالى بما صنع واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لها مهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تستمهم معالى الامور ورفضهم اذانيها حتى افضى الامر الى ابناءهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجه واما لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسم الذل ونفى عنهم النعمة (ثم) استحضر عبد الله بن مروان فقضى عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل ارضه فارا امام بنى العباس قال اقامت مليا ثم اتانى ملكهم فقعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيية فقلت ما منعك عن القعود على ثيابنا قال انى ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله ثم قال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطوّن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب

والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك
وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا فاطرق نيكث بيده في الارض ويقول عبيدنا
واتباعنا واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الى وقال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما
عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسم
الذل بذنوبكم والله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان
يحل بكم العذاب انتم ببلدى فينالني معكم وانما الضيافة
ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور
واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك
وان الامر كان في اوله خلافة وازع كل احد فيها من نفسه
وهو الدين فكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى
هلاكهم وحدهم دون الكافة (فهذا) عثمان لما حصر في الدار
جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمرو ابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة للفرقة وحفظا للالة التي بها حفظ الكلمة
ولو ادى الى هلاكه (وهذا) على اشار عليه المغيرة لاول ولايته
باستبقاء الزبير ومعاوية وطاحه على اعمالهم حتى يجتمع
الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من
امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش

PROLÉGOMÈNES
d'Kht-Khaldoun.

الذى ينافيه الاسلام وغدى عليه المغيرة من الغداة فقال
اشرت عليك بالامس بها اشرت ثم عدت الى نظرى
فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيها رايته
انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششتنى اليوم ولكن منعنى مما اشرت به دايد (١) الحق وهكذا
كانت احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بتهزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معانى الخلافة
من تحرى الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق ولم يظهر
التغير الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا
وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم
ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا
بحتا وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت فى
اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات والملاذ وهذا كما
كان الامر لخلف بنى عبد الملك ولهن جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية
العرب والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها
ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب

(١) Man. A. زيد. B. زاید.

وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم وبقي الامر ملكا بحثا كما كان
 الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة
 تبركا والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفة منه
 شئ وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة
 مع العبيديين ومغراوة وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى امية
 بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد
 وجدت بدون الملك اولا ثم التبست معانيها واختلطت
 ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية من عصبية الخلافة
 والله مقدر الليل والنهار

فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد
 اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين
 لا ينزعه في شئ من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر
 على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده
 جعلوا يدهم في يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع
 والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة
 بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو
 المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
 ليلة العقبة وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة
 الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستخلفون على

هذا العهد ويستوعبون الأيمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الأكره فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين المكره انكرها الولاة عليه وراوها قاذحة فى ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى الله عنه (واما) البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التى هى العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع فى التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدي الناس التى هى الحقيقة فى الاصل لما فى المصافحة لكل احد من التنازل والابتدال الهنايين للرياسة وصون المنصب الملوكى الا فى الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة فى العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لها يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعاله مع الملوك والله القوى العزيز

فصل فى ولاية العهد

اعلم انا قدّمنا الكلام فى الامامة ومشروعيتها لها فيها من

المصالحة وإن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم
ودنياهم فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته
وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى
أمورهم كما كان هو يتولاها ويشقون بنظره لهم في ذلك
كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع
باجتماع الأمة على جوازها وانعقادها إذا وقع عهد أبو بكر إلى
عمر بمحضر الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة
عمر رضي الله عنهم أجمعين وكذلك عهد عمر في الشورى
إلى الستة من بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين
ففوض ذلك بعضهم إلى بعض حتى أفضى إلى عبد
الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين
على عثمان وعلى وأثر عثمان بالبيعة على ذلك لهوافقته
أياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعين دون اجتهاده
فانعقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والهلاء من الصحابة
حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره واحد منهم فدل على أنهم
متفقون على صحة هذا العهد عارفون بهشروعيته والاجتماع
حجة كما عرف ولا يتهم لآمام في هذا الأمر وإن عهد إلى
أبيه وابنه لأنه مأمون على النظر لهم في حياته فأحرى أن
لا يتحمل فيها تبعة بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في
الولد والوالد ولمن خصص التهمة في الولد دون الوالد فإنه

بعيد عن الظنة في ذلك كله لا سيّما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه من إثارة مصلحة أو توقع مفسدة فتنتفى الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معاوية إلى إثارة ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوايهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى أمة إذ بنى أمة يومئذ لا يرضون سواه وهم عصاة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظنّ أنه أولى بها وعدل إلى المفضول عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع ولا يظنّ بمعاوية غير هذا فعدالته وصحابته مانعة ممّا سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تأخذ في الحق هواة وليس معاوية ممن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على تورعه عن الدخول في شيء من الأمور مباحا كان أو محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم إنه وقع مثل ذلك من

بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحقّ ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى امية والسفّاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى العباس وامثالهم ممّن عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابناءهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل واحد من يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو قد عهد الى غير من ترتضيه العصابة لردّت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضى الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وانا اليوم وال على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعنه ابراهيم بن المهدى وظهر من

الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدّد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المامون من خراسان الى بغداد وردّ امرهم لمعاهده فلا بدّ من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبايل والعصبيّات وتختلف باختلافها المصالح ولكل منها حكم يخصّه لطفاً من الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الالبناء فليس من الهقايد الدينيّة اذ هو امر من الله يختصّ به من يشاء فينبغي ان تحسن النية فيه ما امكن خوفاً من العتب بالمناصب الدينيّة والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده (وعرض) هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاولى منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فايتاك ان تظنّ بعاوية رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل عن ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام حياته في سماع الغناء ونهاه عنه وهو اقلّ من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة يومئذ في شأنه فمنهم من راي الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبيّة بنى

امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية
مصر اجمع فهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم
فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون
ولا نكير على احد من الفريقين فهقاصدهم في البر وتحري
الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والثاني هو شأن العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعيه الشيعة من وصيته
لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس
لكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على
انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسيل
في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني
ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي
صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضرون موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي
صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شأنهما في العهد فابي
علي من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطعم فيها آخر
الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد
لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من

أركان الإيمان كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من
 المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق ولو كانت من أركان
 الإيمان لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستخلف فيها كما
 استخلف أبا بكر في الصلاة ولكن يشتهر كما اشتهر أمر
 الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لديننا أفلا نرضاه لديننا دليل على أن الوصية به لم تقع ويدل
 ذلك أيضا على أن أمر الإمامة والعهد بها لم يكن مهما
 كما هو اليوم وشأن العصبية المراجعة في الاجتماع والافتراق
 في مجرى العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لأن أمر
 الدين والإسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب
 عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي
 كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم وتردد
 خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة يتلى
 عليهم فلم يحتاج إلى مراجعة العصبية لها شمل الناس من
 صبغة الانقياد والأذعان وما يستفزعهم من تتابع هذه المعجزات
 المخارقة والأحوال الإلهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجها
 لها ودهشوا من تتابعها فكان أمر الخلافة والملك والعهد
 والعصبية وسائر هذه الأنواع مندرجا في ذلك العباب كما
 وقع فلها انحسر ذلك الهدد بذهاب تلك المعجزات

ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت آثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيها ينشاء عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الأكيدة كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية ازمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية (1) والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضى الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشاء الاجتماع والتوافق الكفيل بهقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشاء عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا عن الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ولم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة

(1) Man. A. et B. الجماعة.

ولا يتعين المخطئ منها والتأثيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطاء والتأثيم وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هى واقعة على مع معاوية ومع الزبير وطاحنة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك (واما واقعة على) فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مفتريقين فى الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع (1) ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والهيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة من مطعون وابى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفصالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى تكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه وظنوا بعلى هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لا فى المهالات (2) عليه فحاش لله ولقد كان معاوية اذا صرح بهلامته انما

(1) Man. A. et B. تابع.

TOME I.

(2) Man. A. المحالاة. B. المهالة.

يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى
على ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجماع (1)
من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم
وموطن الصحابة وارجاء الامر في المطالبة بدم عثمان الى
اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك ورأى
الاخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل
والعقد بالافاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق
اهل الحل والعقد ولا تلزم لعقد من تولاه من غيرهم او من
القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولا بدم
عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمرو
بن العاص وامّ المؤمنين عايشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة
وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن
جديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلّفوا عن
بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من
بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين
وتصويب رايه فيما ذهب اليه وتعيين الخطاء في جهة
معاوية ومن كان على رايه وخصوصا طلحة والزبير
لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع
التأثير عن كل واحد من الفريقين كالشأن في المجتهدين

(1) Man. C. et D. باجماع.

وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولى
 اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله
 عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذي نفسى بيده
 لا يموتن احد من هؤلاء وقلبه نقى الا ادخله الله الجنة يشير
 الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يقعن عندك ريب
 فى عدالة احد منهم ولا قدح بشئ من ذلك فهم من علمت
 وافعالهم واقوالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ
 منها عند اهل السنة لا قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم
 يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت
 بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف فى
 شأن عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت
 فتنة ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
 وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة
 والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب قد نزلوا هذه
 الامصار حفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه
 وسلم ولا هذبتهم سيره وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
 فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن
 سكية الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى
 ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل
 واهل الحجاز وبشر السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا

من ذلك وغصّوا به لها يرون لانفسهم من التقدّم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وقبائل كندة ولازد من اليمن وقبائل تميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغصّ من قریش والانفة عليهم والتمريض فى طاعتهم والتعلّل فى ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز عن السرية والعدول فى القسم عن السويّة (1) وفشت القالة (2) بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئاً ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشاعات تكثر والاشاعات تنمو ورمى الوليد ابن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحدّه عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا الى على وعائشة والزبير وطلحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم ينقطع بذلك السنّتهم بل وفد سعيد بن العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردّوه معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من

(1) Man. A. et B. التسوية.

(2) Man. A. et B. القابلة.

الصحابة بالمدينة ونقحوا عليه امتناعه من العزل فابى
 الا ان يكون عن جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من
 افعاله وهو متهتك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع
 قوم من الغوغا وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من
 عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من
 البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك على وعائشة
 والزبير وطاحه وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان
 الى رأيهم فيها وعزل لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم
 رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه فى يد
 حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك
 فقالوا مكّتا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال
 عثمان ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم
 بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة
 فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين بامر الدين
 ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا
 والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظنّ بهم الا خيرا
 لها شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم (واما الحسين)
 فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره ودعت
 شيعة اهل البيت بالكوفة الحسين ان ياتيهم فيقوموا بامره
 فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه

لا سبباً على من له القدرة على ذلك ووطنها من نفسه
 باهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظنّ وزيادة واما
 الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في
 قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف
 انما كانت في بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وساير
 الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل
 الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصر
 المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهلية
 ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق
 المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوايد فعادت العصبية
 كما كانت ولمن كانت واصبحت مضر اطوع لبنى امية
 من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لذلك
 غلط الحسين الا انه في امر دنياوى لا يضرة الغلط فيه
 واما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه
 القدرة على ذلك ولقد عدله ابن عباس وابن الزبير وابن
 عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
 غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله (واما)
 غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد

بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا أن الخروج على يزيد وإن كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يبايعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا ائتموه لأنه مجتهد وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثير هولاء لمخالفة الحسين وقعودهم عن نصرته فإنهم أكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد وأنس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن أرقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصرته ولا تعرض لذلك لعلمه أنه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وإن كان هو على صواب اجتهاد ويكون ذلك كما يحمد الشافعي والمالكي الحنفى على شرب النبيذ وأعلم أن الأمر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هولاء وإن كان خلافه عن اجتهادهم وإنما انفرد بقتاله يزيد وأصحابه ولا تقولن أن يزيد وإن كان فاسقا ولم يجوز هولاء الخروج عليه فافعله عندهم نافذة صحيحة وأعلم أنه إنما ينفذ من أفعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من شرطه أن يكون مع الإمام العادل وهو مفقود فى مسئلتنا فلا

يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته الموكدة
لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد
والصحابه الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد
غلط القاضى ابو بكر بن العربى المالكى فى هذا فقال فى
كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حملة عليه الغفلة عن اشتراط الامام
العادل فى قتال اهل الآراء (واما ابن الزبير) فانه رآى فى
خروجه ما رآه الحسين ووطن كما ظنّ وغلطه فى امر
الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية فى جاهلية
ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء فى جهة مخالفه كما كان
فى جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك
قضى لنا به ولم نجد هاهنا واما يزيد فعين خطاؤه فسقه
وعبد الهلك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة
وناهيك فى عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن
عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز
مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون انبيعة ابن الزبير
لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون مجولون
على الحق فى الظاهر وان لم يتعين فى جهة منهما والقتل
الذى نزل به بعد تقرير ما قرناه يجرى على قواعد الفقه

وقوانينه مع أنه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة القدح فمن الذى يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرنى ثم الذى يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفسحوا الكذب فجعل الخيرية وهو العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فاياك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرفه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قتلوا ولا قتلوا الا فى سبيل جهاد واطهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقندى كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكم الله فى خلقه واكوانه

فصل فى الخطط الدينية الخلافة

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذى هو مامور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى

رعايته مصالحهم في العمران البشري وقد قدّمنا ان هذا العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد ان اهملت وقدّمنا ان الملك وسطوته كافي في حصول هذه المصالح نعم انها تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظايف تابعة تتعين خططا وتوزّع على رجال الدولة ووظايف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه (واما) المنصب الخلفي وان كان الملك يندرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطوط ومرتبات لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين (فلنذكر) الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الهلوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقضاء والفنيا والجهاد والحسبة كلها مندرج تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة وكانها لامّ الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ احكام الشرع فيها على العموم (فاما امامة الصلاة) فهي ارفع هذه الخطط

كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
 الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن
 ابي بكر رضى الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
 في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لدينا افلا نرضاه لديانا فلولا ان الصلاة ارفع من السياسة
 لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في
 المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات
 المشهودة (1) واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست
 للصلوات العامة (فاما) المساجد العظيمة فامرها راجع الى
 الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض
 فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيد
 والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق
 الاولى والاستحسان ولثلا يفتات (2) الرعايا عليه بشئ من النظر
 في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من
 يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده
 واجبا (واما) المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع
 الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام
 هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه
 ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا

(1) Man. A. et B. المشهودة.

(2) Man. D. يتفاوت.

نطول بذكره (وقد) كان الخلفاء الاولون لا يقلّدونها لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الايذان بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان حال الدولة الاموية من بعدهم استيئارا بها واستعظاما لرتبتها (يحكى) عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي الا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تأخير فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديانهم استنابوا في الصلاة وكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويهها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم (واما الفتيا) فللمخليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرّض لذلك من ليس له باهل فيضلل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ايمتها كما مرّ

فلا بدّ من استيذانه في ذلك وإن كانت من مساجد
العامّة فلا يتوقّف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون
لكل احد من المفتيين والمدّرسين زاجر من نفسه يمنعه
من التصدّي لها ليس له باهل فيضّل به المستهدى ويزلّ
به المسترشد وفي الاثر اجراؤكم على الفتوى اجراؤكم على
جرائم جهنم فالسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجبه
الهصاحة من اجازة او ردّ (واما القضاء) فهو من الوظائف
الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس
في الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام
الشرعيّة المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من
وظايف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر
الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضاء في شىء الى
سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضى الله
عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى
ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب
المشهور الذى تدور عليه احكام القضاء وهى مستوفاة فيه
(اما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا
ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له واس بين
الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا يئاس ضعيف من عدلك البينة على

من ادّعى واليمين على من انكر والصالح جاز بين المسلمين
الا صلاحا احلّ حراما او حرّم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته
امس فراجعته اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان
ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
التمادى فى الباطل الفهم فيما تلجأ في صدرك مما
ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس
الامور بنظايرها واجعل لمن ادّعى حقا غايبا او بينة امداد
ينتهى اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحلت
القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى
المسلمون عدول بعضهم فى بعض الا مجلودا فى حدّ او
مجريا عليه شهادة زور او ظنينا (1) فى ولاء او نسب فان الله
سبحانه عفى عن الايمان ودراء بالبينات واياك والقلق
والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق فى مواطن
الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى
كتاب عمر واتما كانوا يقلّدون القضاء لغيرهم وان كان ممّا
يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من
الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن
ذلك ممّا يقوم به غيرهم لعظيم العناية به فاستخفوا امر
القضاء فى الوقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به

(1) Man. A. et C. ظنينا. D.

تخفيفا عن انفسهم وكانوا مع ذلك أنها يقلّدونه اهل
عصبيتهم بالنسب او الولاء ولا يقلّدونه لمن بعد عنهم في
ذلك وأما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب
الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية لان القاضي إنما
كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع
لهم بعد ذلك امور اخرى على التدرّج بحسب اشتغال
الخلفاء والبلوك بالسياسة الكبرى واستقرّ منصب القضاء
آخر الامر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء
بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور
عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفي
وصايا المسلمين ووقفهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء
على رأى من يراه والنظر في مصالح الطرقات والابنية
وتصفّح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم
بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها
من تعلّقات وظيفته وتوابع ولايته (وقد) كان الخلفاء من قبل
يجعلون للقاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة
من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم
رهبة يقيم المظالم من الخصمين ويزجر المتعدّي وكان يهضى
ما عجز القضاء او غيرهم عن امضائه ويكون نظره في
البينات والتعزير واعتماد الامارات والقراين وتأخير الحكم

الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصالح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضى وكان الخلفاء الاولون
يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدى من بنى العباس وربما
كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل على رضى الله عنه مع
قاضيه ابنى ادريس الخولانى وكما فعله المامون ليحيى ابن
اكنم والمعقّم لابن ابنى داود وربما كانوا يجعلون للقاضى
قيادة الجهاد فى عساكر الصوائف وكان يحيى ابن
اكنم يخرج ايام المامون بالصايفة الى ارض الروم
وكذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من
بنى امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظائف
انما تكون للخلفاء او من يجعلون ذلك له من وزير
مفوض او سلطان متغلب (وكان) ايضا النظر فى الجرائم
واقامة الحدود مختصا فى الدولة العباسية والاموية بالاندلس
والعبيدية بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهى
وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة
فى الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل
ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة فى محلها ويحكم فى
القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب فى حق من لم
ينته الى الجريمة ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين فى الدول

التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجع الى السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منهما وظيفة التهم على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا فجمع للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او الرق او بالاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وظهورها وصار الامر كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من اسم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم بمنحها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم والنبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه

وشرايعه نحلّتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك
 أنّما يولونها جانباً من التعظيم لما دانوا بالملّة فقط فصاروا
 يقلّدونها من غير عصابتهم ممن كان تأهل لها في دول
 الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون بما أخذهم ترف
 الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها
 والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن
 انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكيّة من بعد
 الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل
 الأمصار ونزل اهلها عن مراتب العزّ لفقد الاهليّة بانسابهم
 وما هم عليه من الحضارة فالحقهم من الاحتقار ما يلحق
 الحضر المنغمسين في الترف والدعة البعدا عن عصبيّة
 الملك الذين هم عيال على الحامية وصار اعتبارهم في
 الدولة من اجل قيامها بالملّة واخذها باحكام الشريعة لها
 انهم الحاملون للاحكام المفتون بها ولم يكن ايتارهم في
 الدولة حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلّح من التجلّيل
 بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعيّة ولم
 يكن لهم فيها من الحلّ والعقد شيء وان حضروه فحضور
 رسمى لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحلّ والعقد أنّما هو لاهل
 القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حلّ ولا عقد لديه اللهم
 اخذ الاحكام الشرعيّة عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنعم والله

الموفق (ورثيا) يظنّ بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الهلوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنّه وحكم الملك والسلطان انما يجرى على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في هولاء لا تقتضى لهم بشئ من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لاعصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اى معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم شورا فيما يعلمه من الاحكام فموجودة في الاستفتاء خاصة واما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الهلوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما حملوا الشريعة اقوالا في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكارهم ولا يتصفون

ألا بالآقل منها وفي بعض الأحوال والسلف رضي الله عنهم
 وأهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة أنصافاً بها
 وتحقيقاً (١) بهذا هيأها فمن حملها أنصافاً وتحقيقاً (٢) دون
 نقل فهو من الوارثين مثل أهل رسالة القشيري ومن اجتمع
 له الأمران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء
 التابعين والسلف والأئمة الأربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء
 على أثرهم وإذا انفرد واحد من الأمة بأحد الأمرين فالعابد
 أحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لأن العابد ورث
 صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئاً إنما هو صاحب
 أقوال ينصّها علينا في كميّات العمل وهؤلاء أكثر فقهاء
 عصرنا إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (العدالة)
 وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه وحقيقة هذه
 الوظيفة القيام عن أذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم
 وعليهم تحمّلاً عند الأشهاد وإداء عند التنازع وكتاباً في
 السجلات يحفظ به حقوق الناس وأموالهم وديونهم وسائر
 معاملاتهم وأنما قلنا عن أذن القاضي لأن الناس قد اختلطوا
 ونحفي التعديل والجرح إلا على القاضي فكانه إنما يآذن
 لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس أمورهم ومعاملاتهم
 وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعيّة والبراءة من

(١) Man. C. تحقّقاً.

(٢) Man. تحقّقاً.

الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة الاحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كأهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمّت الفائدة بهم في تعديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبيّنات الموثوقة فيعولون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس فيها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي يتبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله سبحانه اعلم (الحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب

الامر باليعرف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على
القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين
فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات
ويعزّر ويؤدّب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة
في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع
الحمّالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم
على اهل المباني المتعيّنة للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من
ضررها على السابلة والضرب على ايدي المتعلّين بالهكاتب
وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلّين ولا يتوقّف
حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل
الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في
الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في العايش
وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل الهماطلين
على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة
ولا نفاذ حكم وكأنها احكام ينزّه عنها القضاء لعمومها وسهولة
اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها
على ذلك ان تكون خادمة له نصب القضاء وقد كانت
في كثير من الدول الاسلاميّة مثل العبيديّين بمصر والمغرب
والامويّين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولى فيها
باختياره ثم لها انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار

نظرة عامة في أمور السياسة فاندرجت في وظائف الهالك وانفردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من حاتم حديد آخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فتوضع على الدينار او الدرهم بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترتسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر (1) ومذهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا اتفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينتقدونها بهماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تدخل في عموم ولاية القضاء ثم انفردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة (هذا) آخر الكلام في الوظائف الخلافيّة وبقيت منها وظائف

(1) Man. A. et B. النظر.

ذهبت بذهاب ما ينظر فيه وأخرى صارت سلطانية فوظيفة
الأمارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم
عليها في مكانها بعد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلانه إلا في
قليل من الدول يمارسونه ويدرجون أحكامه في غالب
السلطانيات وكذا نقابة الأنساب التي يتوصل بها إلى
الخلافة أو الحق في بيت المال وقد بطلت لدثور الخلافة
ورسومها وبالجبهة فقد اندرجت (١) رسوم الخلافة ووظايفها
في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد
والله مصروف الأمور بحكمه

فصل في اللقب بأمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك أنه لما بويع أبو بكر
رضي الله عنه كان الصحابة وسائر المسلمين يسمونه خليفة
رسول الله ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن هلك فلما
بويع لعمر رضي الله عنه بعهدة إليه كانوا يدعونه خليفة
رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة إضافاته
وأنه يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى المهجنة
وبذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف
فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى سواه مما يناسبه ويدعى

(١) اندرست. Man. A. et B.

به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل
من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه
وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون
سعد ابن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش
القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ واتفق ان بعض الصحابة
نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس
واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعا بذلك عبد الله بن
جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وقيل يزيد
جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن
عمر ويقول اين امير المومنين وسمعها اصحابه فاستحسنوه
وقالوا اصببت والله اسمه انه امير المومنين حقا فدعوه به
وذهب لقبا له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة
لا يشاركون فيها احد سواهم سائر دولة بنى امية (ثم) ان
الشيعة خصّوا عليا رضى الله عنه باسم الامام نعتا له بالامامة
التي هي اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى انه احق
بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصّوه
بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده
فكان كلهم يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفاء
حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده
الى امير المومنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا

يدعون ايتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعا له
وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه
السفاح بامير المومنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون
الايمّة من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله
المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابنى القسم من
بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المومنين
وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه
ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا
اللقب بامير المومنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز
والشام والعراق الموطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة
واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب
اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لها فى امير المومنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا
لاسمائهم الاعلام عن امتهانها فى السنة السوق وصونا لها عن
الابتذال فتلقبوا بالسفاح والمنصور والهادى والمهدى والرشيد
الى آخر الدولة واقتفى اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية
ومصر وتجا فى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجريا مع
الغضاظة والسذاجة لان العروبية ومنازعها لم تفارق حينئذ
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما
بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما عملوه من انفسهم من

القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز أصل العرب والهة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم إنما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم وهو الناصر بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لأول المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيشهم في الخلفاء بالعزل والاستبدال والقتل والسهل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسهيى بامير الهومنيين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهباً لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف قومه واستهز الحمال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى من العجم على بني العباس والصنایع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنى امية واقتسموه واقترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب الهلوك بالمغرب والشرق في الاختصاص بالالقاب بعد ان تسموا جميعاً باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يختصونهم بالقباب تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعصدد

الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديّون ايضا يختصّون بها امراء صنهاجة فلما استبدّوا على الخلفاء قنعوا بهذه الالقباب وتجاؤا عن القاب الخلافة ادبا معها وعدولا عن سماتها المختصّة بها شأن المتغلبين المستبدّين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون من اعاجم المشرق حتى قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتحال الالقباب الخاصّة بالهلك مثل الناصر والمنصور زيادة الى القاب كانوا يختصّون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين (واما ملوك الطوائف بالاندلس) فاقسموا القاب الخلافة وتوزّعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتد والهظفر وامثالها كما قال ابن شرف ينعي عليهم ذلك

ما يزهدي في ارض اندلس اسماء معتد فيها ومعتصد
القاب ملكة في غير موضعها كالهتر يحكي انتفاضا صورة الاسد

وقد مرّ ذكرها (واما صنهاجة) فاقترضوا على الالقباب التي كان خلفاء العبيديّين يلقبونها بها للتنويه مثل نصير الدولة

PROLÉGOMÈNES
J'Elm-Khalidoun.

وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من
دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعد الشقة بينهم وبين
الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم
السلطان وكذا شأن مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه
الألقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغصاة
(ولما) محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من
قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك
العدوتين وكان من اهل الخير والاقداء نزعته همته الى
الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب
المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله بن العربي
وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اياه
على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة له
على المغرب واستشعار زيتهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه
بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه
كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة
لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع
السنة (وجاء المهدي) على اثرهم داعيا الى الحق اخذا
بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى
تقليد السلف في ترك التأويل لطواهر الشريعة وما يؤل اليه
ذلك كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسهى اتباعه

الموحدين تعريضا بذلك الكبير وكان يرى رأى اهل البيت
 فى الامام المعصوم وانه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده
 نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب
 الشيعة فى القاب خلفائهم وادف بالمعصوم اشارة الى مذهبه
 فى عصمة الامام وتنزهه عنده اتباعه عن امير المومنين اخذا
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولها فيها من مشاركة الاغهار
 والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب
 ثم انتحل عبد المومن ولى هذه اللقب بامير المومنين وجرى
 عليه من بعده خلفاء بنى عبد المومن وآل ابى حفص بافريقية
 من بعدهم استثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم
 المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده
 كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان
 ذلك دأبهم (ولها) انتقص الامر بالمغرب وانتزعه زناتة
 ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع لمتونة فى
 انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التى
 كانوا على طاعتها لبنى عبد المومن اولا ولبنى ابى حفص
 من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المومنين
 وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الهلك وتتهيبها
 لمذاهبه وسمااته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الهلة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قايم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكاليف والنوع الانسانى ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشرى لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القايمين بها اليهما معا (واما) ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا فى الهدافة فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعنيه شئ من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير دينى وهو ما اقتضته لهم العصبية بها فيها من الطلب للهلك بالطبع كما قدمناه لانهم مكلفون بالتغلب على الامم كلها فى الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم فى خاصتهم ولذلك بقى بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليها نحو اربعماية سنة لا يعتنون بشئ من امر الهلك انما همهم اقامة دينهم فقط وكان القايم به

بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامة السياسة التى هى للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم فى الدين وابتعد عن شغب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحکمت طبيعة العصبية وتمتختت الشوكة فغلبوا الكنعانيين على الارض التى اورثهم الله ببيت المقدس وما جاورها كما بيتن لهم على لسان موسى صلوات الله وسلامه عليه فحاربتهم امم الفلسطينيين والكنعانيين والارمن (1) واذوم وعمون ومواب ورياستهم فى ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو اربعماية سنة ولم يكن لهم صولة الملك وضجر بنو اسرائيل من مغالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم فى تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد

(1) Man. B. الارمن.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn Khaldoun.

سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه
الى دولتين كانت احدهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة
وكرسى ملكهم صبسطية وقد خربت من لدن بخت
نصر والاخرى بالقدس لبنى يهوذا وبنى يامين ثم غلبهم
بخت نصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك
اولا الاسباط العشرة في صبسطية ثم ثانيا بنى يهوذا ببيت
المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب مسجدهم
واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد
العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى
بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد
واقاموا امر دينهم على الرسم للكهنونية (1) فقط والملك
للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود
في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم
بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم
الكهنونية (2) الذين كانوا فيهم من بنى حشمناي وقتلوا يونان
حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم
زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهار بنى
حشمناي وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة
وافحشوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس

(1) الكهنة. Man. C. et D.

(2) الكهنة. Man. C. et D.

واجلوهـم عنها الى رومة وما وراها وهو السخراب الثانى
 للمسجد ويسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يـقم لهم بعدها
 ملك لفقدان العصبية منهم وبـقوا بعد ذلك فى ملكة
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس المسمى بالكوهن
 (وكان المسيح) صلوات الله وسلامه عليه لما جاءهم بما جاء
 به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يده الخوارق العجيبة من ابراء المعنوة واحياء الموتى واجتمع
 عليه كثير من الناس وامنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه
 وكانوا اثنتى عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى
 ملته وذلك ايام اوغشطش اول ملوك القياصرة وفى مدة
 هيردوس ملك اليهود التى انتزع الملك من بنى حشمنائى
 اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم
 ملك القياصرة اوغشطش يغريه به فاذن لهم فى قتله ووقع
 ما تلاه القران من امرة وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم
 الى بلاد الروم داعين الى دين النصرانية (وكان) بطرس كبيرهم
 فنزل برومة دار ملك القياصرة (ثم) كتبوا الانجيل الذى
 انزل على عيسى صلوات الله عليه فى نسخ اربع على
 اختلاف رواياتهم فكتب متا انجيله فى بيت المقدس
 بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطينى
 وكتب لوقا منهم انجيله باللطينى لبعض اكابر الروم وكتب

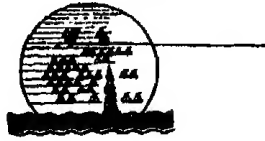
يوحنا بن زبدي انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وغالبها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا (واجتمع) الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الهة النصرانية وصيروها بيد اقليمطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بريا يوميير وكتاب الهقاييين لابن كريون ثلاثة وكتاب عزرا لامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يوشع بن شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب القتاليقون سبع رسائل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليمطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالبسيس (1) وفيه روى يوحنا بن زبدي

(1) Man. A. B. C. انوغالبسيس.

(واختلف) شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها (وكان) صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطررك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اى نايب البطررك ويسمون الامام الذى يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذى حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع (وكان) بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اربوس (وكان) مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثني عشر قسسا على انه اذا مات البطررك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من الهومنيين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس (ثم) لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثماية وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه

الامانة وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك
القايم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما
قرره حنايا تلميذ مرقس وابطل ذلك الراى وانما يقدم عن
ملاء واختيار من ائمة المومنين وروسائهم فبقى الامر ثم اختلفوا
بعد ذلك في قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره
ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل
فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك
بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف فيما ناب عن
البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة
يقال اخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك
عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بهصر على ما زعم جرجس بن العميد في تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه
كرسي بطرس الرسول كما قدّمناه فلم يزل سمة عليه الى الآن (ثم)
اختلف النصارى في دينهم بعد ذلك وفيها يعتقدونه في المسيح
وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على
صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى
ان استقرت لهم ثلاث طوائف هي فرقهم ولا يلتفتون الى غيرها
وهم الهلكية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نسخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجهالة معروفة وكلها

كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم فى ذلك جدال ولا استدلال إنما هو الاسلام او الجزية او القتل (ثم) اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم الهسى بالابا على راي الهلكية ورومة للافرنجة وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك اليعاقبة يصر على راي اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرائهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه فى اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمة والثانية مشددة من مذهب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد لهلك واحد يرجعون اليه فى اختلافهم واجتماعهم تخرجوا من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبية التى لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسهونه الانبرطور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمتين ويباشره بوضع التاج على راسه للتبرك فيسمى الهتوج ولعله معنى لفظة الانبرطور هذا ما لخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين اللذان هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهتدى من يشاء



PROLÉGOMÈNES
D'EBN
KHALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA
BIBLIOTHEQUE IMPÉRIALE

PAR

M. QUATREMÈRE

TOME PREMIER

LIBRAIRIE DU LIBAN